الاستقامة

فضائلها ومعوّقاتها

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القحطاني، مسند محسن
الاستقامة: فضائلها ومعوقاتها./ مسند محسن القحطاني.- الدمام، ١٤٢٩هـ
١٠٣ ص ؛ ٢١ سم
ردمك : ٩-١١٠٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٩/٤٨٧٧

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٤٨٧٧
ردمك: ٩-١١٠٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة السادسة
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

توزيع

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - تلفون: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص.ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - جوال ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
القاهرة - ج.م.ع. - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تليفاكس: ٠٢/٤٤٣٤٤٩٧٠
الموقع والبريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

الاستقامة

فضائلها ومعوّقاتها

جمع وإعداد

مسند القحطاني

مدير مركز الدعوة والإرشاد بالدمام

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا.

والحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وشرفنا بالإيمان، وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا تبارك وتعالى ويرضى..

وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في فضائل الاستقامة ومعوِّقاتها والتي تأتي لتلقي الضوء على هذا الموضوع الذي ربما تحدث فيه البعض، وكتب فيه ما كتب، إلا أنه يبقى بحاجة إلى مزيد من الطرح والحديث والتجديد، وإلى جمع لشتاته ولأطرافه، وهذا في الحقيقة ما يدفعني للحديث في هذا الموضوع وللإدلاء بدلوي في بيان هذا الأمر الذي ورد في كتاب الله تبارك وتعالى وفي سنة نبيه ﷺ.

فالحديث في هذا الموضوع أي: في الاستقامة ليس بدعًا من

القول، لأن الاستقامة ورد ذكرها في كتاب الله وفي أحاديث النبي ﷺ، فهي مرتبة من مراتب أهل الإيمان، ومنزلة من منازل أهل العبادة والتقوى ينبغي لكل مؤمن ومؤمنة أن يجتهد للوصول إليها وأن يسعى في الحصول عليها، فهي منزلة إضافية بعد الإيمان بالله ﷻ.

فليس كل مؤمن مستقيمًا على دينه !! فكم من مؤمن لا يستقيم على إيمانه ولا يستقيم على دعواه، ولذلك جاءت هذه المنزلة بعد الإيمان بالله ﷻ حتى يستقيم المؤمن على إيمانه ويصدق في دعواه ويكون من أهل الاستقامة الذين مدحهم الله ﷻ في كتابه وحث على سلوك منهجهم وطريقهم نبيه ﷺ، فيما صح من سنته عليه الصلاة والسلام.

فمن ذلك قوله جل من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت: ٣٠]، هذا دليل على أن هناك منزلة ومرتبة لأهل الإيمان ألا وهي الاستقامة على هذا الإيمان.

وكذلك قال ﷺ في الحديث الصحيح الذي سيمر معنا: (عندما سأله رجل: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك أو بعدك، قال ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»)، أي: استقم على هذا الإيمان.

من هذا المنطلق يأتي حديثنا في هذا الموضوع.

وسنذكر إن شاء الله في هذه الرسالة بعض التعريفات والمعاني الواردة في معنى الاستقامة، ثم بعد ذلك نذكر بعضًا من فضائل الاستقامة على دين الله ﷻ، ثم نختم الحديث بذكر بعض المعوقات التي تعوق البعض عن الاستقامة على دين الله ﷻ.

كتبه

مسند القحطاني

مدير مركز الدعوة والإرشاد بالدمام

جوال

(٠٥٠٥٨٤٠٢٤٥)

معنى الاستقامة

الاستقامة يراد بها التمسك بالإسلام عقيدة وعملًا وسلوكًا، والسين والتاء فيها للمبالغة في التقوم وعدم الإعوجاج والميل عن طريق العبودية.

وفي هذا الزمن اشتهر مصطلح الالتزام للتعبير به عن الاستقامة على الدين.

والالتزام : هو ملازمة الشيء والمداومة عليه، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا عُرِّف، إلا أن التعبير بالاستقامة هو الأفضل لأنه هو المصطلح الشرعي الوارد في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ كما سيمر معنا بإذن الله.

سأل سفيان بن عبد الله رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدًا غيرك؟ قال ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[1].

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**استقيموا ونعمًّا إن**

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

استقمتم»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**استقم ولتحسن خُلقك للناس**»[٢].

والله تبارك وتعالى قد أمر نبيه ﷺ بالاستقامة، وهو أمر له عليه الصلاة والسلام ولأتباعه، فقال جلَّ من قائل: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود: ١١٢].

وسنعرف إن شاء الله من خلال هذه التعريفات ما هي الاستقامة؟ ثم بعد ذلك نبين المعنى الشمولي والعام للاستقامة على دين الله تبارك وتعالى.

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ قال: استقاموا أي: لم يشركوا بالله شيئًا، يعني استقاموا على التوحيد.

وقال عمر رضي الله عنه: (الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب) يعني المداومة، الالتزام، الاستمرار على

---

(١) رواه ابن ماجه، صحيح الجامع (٩٥٣).

(٢) رواه الحاكم وابن حبان، صحيح الجامع (٩٥١).

فعل الأوامر وترك النواهي.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: في معنى الاستقامة (استقاموا) أي: أدوا الفرائض.

وقال الحسن رحمه الله (استقاموا : أي: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته).

وقال ابن تيمية رحمه الله : (استقاموا أي: استقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يَمنة ولا يَسرة).

وقال الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين: الاستقامة هي لزوم طاعة الله تبارك وتعالى).

وقال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين بعدما ذكر بعضًا من هذه الأقوال وغيرها :

فالاستقامة «كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات).

فكأنه رحمه الله جمع هذه المعاني كلها مما قيل في الاستقامة.. فالاستقامة : كلمة جامعة شاملة تشمل ما قيل كله من الاستقامة على التوحيد، وعلى الأمر والنهي، وبأداء الفرائض، وبتحقيق العبودية، والمحبة لله عز وجل، ولزوم الطاعة وترك المعصية.

وقال ابن رجب رحمه الله في شرح الأربعين النوويه

حديث(٢١):

الاستقامة هي: سلوك الصراط المستقيم من غير تعريج عنه يَمنة ولا يَسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستقامة لزوم طاعة الله وطاعة رسوله على الدوام (ملحق التفسير).

* وهذا في الحقيقة يبين لنا: أن الاستقامة هي دين الله عَزَّ وَجَلَّ الذي أمر به، وهي هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك أنبه إلى أن المستقيم فيما نراه اليوم في حياتنا وما يقال: إنه الملتزم بالدين، نقول: إن هذا هو الوضع الطبيعي والأصل في كل مسلم أن يكون مستقيمًا على أوامر الله تبارك وتعالى، ملازمًا لطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا هو الإنسان العادي.

المستقيم يفعل الواجبات ويترك المحرَّمات، ويستمر ويداوم على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ويلتزم بأداء الواجبات وأداء الفرائض، ويحقق المحبة والعبودية، هذا هو المسلم العادي، هذا هو الأصل في كل مسلم.

ولكن للأسف نحن نرى المستقيم على دينه وكأنه فعل شيئًا تطوعيًا ثانويًا إضافيًا !! ونرى المقصِّر المفرط المضيع الواقع

في المحرمات والمنكرات والمعاصي، فنقول: إن هذا هو الإنسان العادي !!! لا والله هذا ليس بالإنسان العادي، هذا مفرط ومضيع ومقصر، ولا يقال عنه : هذا إنسان عادي !!.

* فالاستقامة هي دين الله تبارك وتعالى، ولذلك من لم يستقم ويلتزم بدين الله ﷻ فإنه قد غيَّر وبدَّل ولا يقال عنه: إنه هو الإنسان العادي. وقد عبر الله عز وجل عن الدين بالاستقامة، فقال ﷻ : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٨].

فقوله: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ أي : لمن شاء منكم أن يؤمن، فعبَّر عن الإسلام والإيمان بالاستقامة.

* والاستقامة كذلك هي هدي النبي ﷺ ومن خالف هدي النبي ﷺ كما هو معلوم فإنه على خطر عظيم لأن خير الهدي هدي محمد ﷺ.. وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فكل من مخالف هدي النبي عليه الصلاة والسلام فهو على خطر عظيم، ولا بد حقيقة لقَبول العمل كما هو معلوم من الشرطين الأساسيين : الإخلاص، والموافقة لهدي النبي ﷺ.

وقال جل من قائل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم

بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فالاستقامة هي صراط الله تبارك وتعالى، ومن حاد عنه فقد تخطفته السبل، فهو على خطر عظيم أن تتفرق به هذه السبل عن سبيل الله تبارك وتعالى وعن صراطه المستقيم، فيضل ويهلك.

* وقد أمر الله ﷻ نبيه بالاستقامة، وهذا الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام ولأمته كما هو معلوم، فقال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢].

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ ومن معه أن يستقيموا كما أمروا، ولا يزيغوا عن ذلك يَمنة ولا يَسرة، ولا يطغوا ويتجاوزوا ما شرعه الله لهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية: (ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «**شيبتني هود وأخواتها**»)(١).

(١) انظر: تفسير البغوي وتفسير القرطبي، وصحيح الجامع (٣٧٢٠).

تنبيهات مهمة

أولًا: الاستقامة التي أمر الله بها هي استقامة الظاهر والباطن:

ينبغي لكل مؤمن أن يجتهد في أن يكون مستقيمًا ظاهرًا وباطنًا، ولا يكون همنا فقط أن نستقيم في الظاهر.

لقد أمر الله ﷻ بأداء الصلوات جماعة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك من الأعمال الظاهرة، وأمر أن يلتزم المؤمن بما شرع الله ﷻ وأن ينتهي عما نهى الله عنه في أقواله وأفعاله وجميع جوارحه الظاهرة.

وكذلك الأمور الباطنة لا بد أن تكون مستقيمة على شرع الله ﷻ، ولا يكون همنا فقط أن نكون مستقيمين في الظاهر أمام الناس!! بل لا بد أن نعتني بصلاح الباطن ألا وهو القلب الذي هو محل نظر الرب سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وقال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن**

إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١].

وقد ذكر بعض العلماء كابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن هناك تلازمًا بين الظاهر والباطن، وأن نقص أحدهما مؤثر في نقص الآخر، فالنقص في الأعمال الظاهرة إنما هو لنقص ما في القلب من الإيمان.

* قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عجبًا ممن يهتم بوجهه الذي هو محل نظر الخلق، فيغسله ويزينه بما أمكن لئلا يطَّلع فيه مخلوق على عيب، ولا يهتم بقلبه الذي هو محل نظر الخالق).

* قال الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستقامة هي: (امتثال كل مأمور واجتناب كل محظور، وذلك يدخل في أعمال القلوب والأبدان من الإيمان والإسلام والإحسان)[٢].

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الأربعين النووية حديث (٢١):

(فأصل الاستقامة، استقامة القلب على التوحيد، فمتى استقام القلب على معرفة الله وعلى خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته ورجائه ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو مَلِك

(١) رواه مسلم

(٢) شرح الأربعين حديث (٢١)

الأعضاء، وهي جنوده، وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح، اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبِّر عنه، ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة، وصَّاه بعد ذلك بحفظ لسانه وفي مسند الإمام أحمد عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**» انتهى بتصرف.

وبهذا نعلم أن الاستقامة التي أمر الله بها هي استقامة الظاهر والباطن، وهذا هو دين الإسلام الذي جاء لإصلاح القلب والجوارح.

ثانيًا: الاستقامة المقصودة هي الاستقامة مع الحق ﷻ ومع الخلق:

بعض الناس يستقيم مثلًا فيما بينه وبين الله، فتكون عبادته صحيحة ومحافظ عليها، لكنه في معاملاته مع الناس تجده مخلًّا في ذلك خللًا عظيمًا يكاد يفسد عليه عباداته والعياذ بالله، ولا يخفى علينا أهمية المعاملة ومكانتها في دين الإسلام.

فالاستقامة التي نتحدث عنها هي استقامة مع الحق ﷻ بتوحيده وأداء العبادة على الوجه الصحيح، والاستقامة كذلك مع الخلق حتى نتعامل مع الناس المعاملة الصحيحة فنتمثل الدين الإسلامي خُلُقًا وسلوكًا في حياتنا.

وقد أوصى النبي ﷺ معاذًا وأبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال عليه الصلاة

والسلام: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[١].

هذا الحديث تضمن في الحقيقة الأمر بالاستقامة مع الله جل وعلا والاستقامة مع الناس.

فقوله : «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحُها**» هذا فيما بيننا وبين الله سبحانه.

وقوله: «**وخالق الناس بخلق حسن**»، هذا فيما بيننا وبين الناس.

إذًا الاستقامة التي هي دين الإسلام هي الاستقامة مع الله تبارك وتعالى ومع الناس.

وعندما سئل النبي ﷺ عن المرأة التي ماتت في حياته عليه الصلاة والسلام، فقيل: يا رسول الله ماتت فلانة التي كانت تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق لكنها كانت تؤذي جيرانها؟! قال ﷺ: «**لا خير فيها هي في النار**»[٢] ؟!!

سبحان الله !! كيف يكون ذلك؟ لأنها كانت تؤذي جيرانها، فهي قد استقامت في عبادتها ولكنها لم تستقم في معاملاتها، نعوذ بالله من الخذلان..

---

(١) رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع برقم (٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد وابن حبان، السلسلة الصحيحة برقم (١٩٠).

وكذلك بعض الناس تجده مخلًّا في عبادته ويقول: أهم شيء الأخلاق الحسنة مع الناس؟!

إن أسوأ الخُلق ما كان فيه سوء معاملة مع الله ﷻ، فكيف يتصور أن إنسانًا أخلاقه حسنة مع الناس وأخلاقه مع ربه وخالقه ورازقه وموجده والإله الحق ﷷ سيئة؟ فلا يشكر الله، ولا يعبد الله ﷻ، ولا يمتثل أوامره، ولا يجتنب نواهيه، هذا لا يعقل أبدًا ولا يكاد يصدر من مؤمن يرجو ما عند الله ﷻ.

وهذا والعياذ بالله يماثل أخلاق الكفار في الجاهلية الذين كانوا يعملون أعمالًا حسنة من الشهامة والكرم والشجاعة ومساعدة المحتاج وغير ذلك، لكنهم لا يرجون بها وجه الله ﷻ، ولم يقل أحدهم يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، بل كانوا يرجون بها ما عند الناس من المدح والثناء والذكر الحسن، فلم تنفعهم والعياذ بالله، وجازاهم الله ﷻ الذي لا يظلم أحدًا بأن جعل لهم من الشهرة في هذه الدنيا مما هو معلوم، وليس لهم في الآخرة من خلاق والعياذ بالله.

ثالثًا: الاستقامة هي التسديد والمقاربة:

قال ﷺ: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[1].

عندما نتحدث عن الاستقامة فإننا نتحدث عما نستطيع أن

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي، صحيح الجامع (٤٥١٥).

نحققه من درجات الكمال في الاستقامة، ولذلك ربما يجتهد الإنسان ويحقق شيئًا من الاستقامة ويبقى مجتهدًا فيحصل له من الفضائل على قدر درجة تحقيق الاستقامة، فكلما حقق الاستقامة أكثر كلما تحصَّل على هذه الفضائل التي سنذكرها بإذن الله تبارك وتعالى.

يقول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ....﴾ [فصلت: ٦]

فأمر سبحانه بالاستقامة والاستغفار لعلمه سبحانه أن العبد مهما حرص على الاستقامة لا بد أن يحصل منه خلل أو تقصير في فعل مأمور أو ترك محظور.

وقال النبي ﷺ في الحديث: «**استقيموا ولن تحصوا**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**سدِّدوا وقاربوا، وأبشروا...**»(٢) الحديث.

وقال ﷺ: «**أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا**

(١) رواه الإمام أحمد والحاكم، صحيح الجامع (٩٥٢).

(٢) متفق عليه

الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة..».[(١)]

فالإنسان يجتهد ويسدد ويقارب، ويسأل الله العون والسداد، ويحاول ويجاهد نفسه ويبشر لأن الله ﷻ قال في محكم التنزيل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالله ﷻ قد وعد كل من اجتهد وأخلص وأقبل عليه ﷻ أن يوفِّقه لكل خير، وأن يهديه وأن يعينه، ومن صدق مع الله صدق الله معه.

(١) رواه أحمد (٤/ ١٦)، وابن حبان (١/ ٤٤٤) وقال محققه: إسناده صحيح على شرط البخاري.

فضائل الاستقامة

قبل الشروع في ذكر بعض هذه الفضائل - والتي في الحقيقة ليس لي فيها إلا الجمع والإعداد والتأليف بينها، أسأل الله ﷻ أن ينفع بها، وأسأله تعالى التوفيق والسداد - أود التنبيه إلى أن الاستقامة التي ذكرنا هي رتبة ومنزلة من منازل أهل الإيمان، وقد أمر الله ﷿ بها كما ذكرنا وهي دين الله وهي هدي محمد ﷺ ومع ذلك لها فضائل في الدنيا والآخرة، وهذا من رحمة الله ﷿ وعظم فضله ومنّه وكرمه، أنه ما أمر بأمر ولا أوجب واجبًا إلا وجعل عليه أجرًا وفضلًا في الدنيا والآخرة، ولعلمه ﷻ أن الإنسان يحب العاجلة ويتشوق إليها كما أن ذلك من أسباب الثبات والطمأنينة.

الأولى : لا خوف عليهم ولا هم يحزنون:

يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف : ١٣، ١٤].

هذا وعد منه ﷻ الذي لا يخلف الميعاد، وعد كريم وبشارة عظيمة منه لله ﷻ لأهل الاستقامة: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ

يَحۡزَنُونَ ﴾، قال العلماء: لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فالمستقيم على دين الله أكثر الناس أمنًا وأمانًا وطمأنينة وسلامة من أحداث الدنيا وأهوال الآخرة.

ففي الدنيا يخاف الناس ويرتبكون ويذعرون، ولكنه في أمن وأمان لأنه مستقيم على دين الله ﷻ.. قد امتلأ قلبه من محبة الله، وتعظيمه وحسن الظن به سبحانه، والتوكل عليه والثقة بوعده، والتعلق بالدار الآخرة وما أعده الله لعباده الصالحين، فلا يخيفه ما يخيف الناس من مرض أو فقر أو عدو، أو هَمٍّ أو غمٍّ، أو أي شيء في هذه الحياة.

وكذلك في الآخرة يؤمن الله خوفه ويقر عينه ويكون كل ما يخشاه الناس من أهوال يوم القيامة قرة عين له، وأمن وأمان عليه كما قال تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠٣]

هذا وعد الله ﷻ الذي لا يخلف الميعاد، وهذا فضل عظيم وخير عميم من الرحمن الرحيم ﷻ، لكل من استقام على إيمانه، فلله الحمد والمنة.

الثانية: أصحاب الجنة:

وكذلك من فضائل الاستقامة ما ورد في قوله سبحانه وتعالى في الآية السابقة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾.

فهذا وعد الله الذي لا يخلف لأهل الاستقامة الذين قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ أصبحوا من أهل الجنة.

وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم: ١٣]

وقال سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣..﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١- ١١]

فالمؤمنون الذين يتصفون بهذه الصفات هم أهل الاستقامة.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله: وكلما كان العبد أكثر

استقامة، كان أسهل لدخول الجنة[١].

وقال ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[٢].

وجاء في بعض روايات هذا الحديث التي رواها الإمام أحمد وأهل السنن:

(قيل: يا رسول الله، من هم الغرباء؟؟ قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**»، وفي لفظ: «**الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي**»، وفي لفظ آخر: «**هم النزاع من القبائل**»، وفي لفظ آخر: «**هم أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير**».

قال الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله ورفع درجته:

«فالمقصود أن الغرباء هم أهل الاستقامة، وأن الجنة والسعادة للغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، إذا تغيرت الأحوال والتبست الأمور وقلَّ أهل الخير، ثبتوا هم على الحق واستقاموا على دين الله، ووحَّدوا الله وأخلصوا العبادة، واستقاموا على الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر أمور الدين، هؤلاء هم الغرباء»[٣].

---

(١) شرح كتاب التوحيد ص ٣١

(٢) رواه مسلم.

(٣) فتاوى نور على الدرب (١/ ١٤).

فالاستقامة من أعظم الأسباب الموصلة إلى الجنة، لأن أهل الاستقامة يستقيمون على دينهم وعلى إيمانهم ويستقيمون على طاعة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتحقيق التوحيد ولزوم الطاعة ولزوم العبادة، والاستقامة عليها والالتزام بالأمر والنهي وغير ذلك من المعاني العظيمة الشاملة التي ذكرناها في معنى الاستقامة.

الثالثة : لهم البشرى في الدنيا والآخرة:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١] إلى آخر ما ورد في السياق المبارك..

فهذا وعد الله جل وعلا، وهو بشارة وإكرام وحفظ وولاية وشفاعة، فالله أكبر ما أعظم هذه الفضائل العظيمة.

لمن؟؟ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾

ما هو جزاؤهم؟ ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾

﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ أي : لا تخافوا مما أمامكم.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: على ما وراءكم..

﴿وَأَبْشِرُوا﴾ أي: بما وعدكم ربكم سبحانه وتعالى.

فالملائكة تتنزل عليهم عند الاحتضار، وعند البعث والنشور من القبور، وعند الحساب، وتكون معهم حتى تدخلهم الجنة كما قال أهل التفسير.

والجزاء من جنس العمل، استقاموا وثبتوا على دين الله تعالى وحفظوا أوامر الله في الدنيا، فحفظهم الله وثبتهم في الآخرة.

وعرفتهم الملائكة في الدنيا بطاعتهم واستقامتهم وكثرة عبادتهم فحفظتهم وتولتهم عند احتضارهم وعند بعثهم ونشورهم، فهي معهم تؤنس وحشتهم في القبور وعند النفخة في الصور، وتؤمنهم يوم البعث والنشور، وتجاوز بهم الصراط حتى تدخلهم جنات النعيم.

فهنيئًا لأهل الاستقامة بهذه البشارة العظيمة في تلك الأوقات الرهيبة العصيبة التي لا يثبت فيها إلا من ثبته الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ١٢-١٤].

فالبشارة في الدنيا ما يراه أهل الاستقامة من القَبول عند الناس والتوفيق لكل خير والنجاة من كل شر، وأما في الآخرة فأولها عند الاحتضار، كما مر معنا، وفي القبر وعند البعث والنشور.

وكذلك قال سبحانه: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

الرابعة: الحياة الطيبة والسعادة الحقيقية:

من فضائل الاستقامة كذلك الحياة الطيبة والسعادة الحقيقية. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فهذا وعد من الله ﷻ بالحياة الطيبة التي تشمل جميع

وجوه الراحة في الحياة الدنيا من سعة الرزق والسعادة الحقيقية وانشراح الصدر والطمأنينة في القلب وسكون النفس وعدم التفاتها لما يشوش عليها.

ليس كل مؤمن يعمل عملًا صالحًا !! وليس كل عمل، عمل صالح؟!

فالمؤمن الذي يعمل عملًا صالحًا هو المستقيم على دين الله ﷻ، الذي يعمل العمل بشروطه، بإخلاصه لله وموافقته لهدي النبي عليه الصلاة والسلام، فهذا يبشر بوعد الله ﷻ بالحياة الطيبة في الدنيا وأن يجزيه الله بأحسن ما عمله في الدار الآخرة.

ويقول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

قال المفسرون: من اتبع هدى الله لا يضل ولا يشقى، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ومن أعرض: أي: خالف أمر الله وما أنزله على رسوله ﷺ، فإن له معيشة ضنكًا في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء، وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه في قلق وحيرة وشك، وهذا من

ضنك المعيشة[١].

ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٩].

قال أهل التفسير: لهم في الدنيا كمال الراحة والطمأنينة والسعادة والفرح وقرة العين، ولهم في الآخرة حسن المنقلب والمآب من رضوان الله تعالى وكرامته في جنات النعيم.

ويتضح ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تحسب أن هذا مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل هو في الدنيا والبرزخ ودار القرار، فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب؟؟؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب[٢]؟؟

ولذلك كان أحد الصالحين إذا سئل: كيف أصبحت؟ قال: (أصبحت في نعمة لو علم عنها الملوك وأبناء الملوك الجالدونا عليها بالسيوف).

يقصد نعمة السعادة والأنس والفرح والطمأنينة بطاعة الله وعبادته.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، وتفسير ابن سعدي رحمهما الله.

(٢) الداء والدواء ص ١٢٢.

الخامسة: الأمن والأمان والهداية:

ومن فضائل الاستقامة كذلك الأمن والأمان والهداية من الرحيم الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول جل من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

أي: لم يشركوا بالله عَزَّ وَجَلَّ، لأن الظلم هنا قد فسره النبي عليه الصلاة والسلام بأن معناه: الشرك.

واستدل عليه الصلاة والسلام بما ورد في قول الله عَزَّ وَجَلَّ على لسان لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣](1)، فأظلم الظلم: هو الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، هؤلاء هم المستقيمون على دين الله ولم يشركوا، أي: استقاموا على التوحيد، وقد مر معنا أن من معاني الاستقامة: الاستقامة على التوحيد.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ أي: يحصل لهم الأمن، وكما قال العلماء: في الدنيا والآخرة على قدر تحقيق التوحيد والبعد عن المعاصي التي هي بريد الشرك بالله تعالى.

---

(١) رواه أحمد والبخاري.

فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمانًا ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف.

ومن خاف الله آمنه من كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء(١).

ونعمة الأمن والأمان نعمة عظيمة من أجل النعم، إذا فقدت اضطربت جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية وغير ذلك.

وقد امتن الله تعالى بهذه النعمة على الناس بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

وقال ﷺ في الحديث: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافي في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(٢).

وقوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: يرون الهداية في جميع شؤون حياتهم، يهديهم الله ﷻ لأفضل أنواع الحياة ولأفضل أنواع

---

(١) انظر: الداء والدواء ص١٢٠، بتصرف.

(٢) رواه الترمذي، صحيح الجامع (٦٠٤٢).

المعاملات والعلاقات ويسددهم في أقوالهم وأعمالهم ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

وعندما سئل الإمام أحمد وهو في السجن:- إذا لم نجدك فإلى من نذهب؟

قال: اذهبوا إلى عبد الوهاب الوراق، قالوا: إنه ليس عنده كثير مسائل؟

قال : إنه رجل صالح ومثله يوفق للصواب.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن : ١١]

(فأخبر سبحانه أن كل من آمن الإيمان المأمور به، وصدّق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله وأفعاله وفي عمله وعلمه)[١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فوعد سبحانه كل من جاهد نفسه بالاستقامة على الدين واتباع السنة وطلب العلم الشرعي وغير ذلك من وجوه الخير، وعده

(١) تفسير السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتصرف.

الله بالهداية إلى أحسن الطرق الموصلة إلى رضوان الله في الدنيا وجنته في الآخرة، وذلك بمعرفة الحق والعمل به والدعوة إليه.

فهنيئًا لأهل الاستقامة الأمن والأمان والهداية من الرحمن في الدنيا والآخرة.

السادسة : محبة الله تعالى:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

ويقول سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٩].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٧] .

إذا تأملنا هذه الأعمال والصفات التي يحب الله تعالى أصحابها لوجدناها تتحقق في أهل الاستقامة.

فأهل الاستقامة هم الذين يحسنون عباداتهم ومعاملاتهم.

وهم أكثر الناس توبة إلى الله تعالى، وتطهرًا في الظاهر والباطن.

وهم كذلك أكثر الناس تحقيقًا للتقوى، وصبرًا على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة.

كما أن المستقيمين هم أكثر الناس توكلًا على الله، وتحريًا للعدل في أحكامهم ومعاملاتهم.

وقد قال ﷺ في الحديث القدسي: إن الله تعالى يقول: «**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...**»[1] الحديث، وأكثر الناس عملًا بالنوافل هم أهل الاستقامة.

نسأل الله بمنِّه وكرمه أن يجعلنا ممن يحبهم الله ويحبونه سبحانه، وأن يرزقنا ثمرة هذه المحبة في الدنيا والآخرة.

السابعة: ولاية الله تعالى ومعيَّته الخاصة:

ومن فضائل الاستقامة كذلك أن الله عز وجل يتولى أهل الاستقامة ويدافع عنهم ويحميهم سبحانه وتعالى.

قال جل من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

---

(١) رواه البخاري.

فهذا وعد وبشارة من الله لعباده المؤمنين.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدافع عن المؤمنين المستقيمين على إيمانهم وليس المضيِّعين المفرِّطين المقصرين الواقعين في المنكرات والمعاصي والمحرمات وغير ذلك من أسباب غضب الله تعالى.

فالله عَزَّوَجَلَّ إنما يتولى أولياءه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويدافع عن عباده الصالحين المستقيمين على دينه ويكفيهم الشرور والآفات، ويخفف عنهم المصائب، كما قال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٩] ليس كل عبد؟؟! وإنما العبد المستقيم على دينه.

وقد ورد في الحديث القدسي أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»(١).

وأولياء الله هم الذين قال الله عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًّا، فيبشر بأن الله يدافع عنه ويكفيه ويتولى حمايته ممن عاداه، والله سبحانه معه يؤيده وينصره ويسدده في أقواله وأعماله(٢).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٧.

وهذه معية خاصة بالمستقيمين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وأما المعية العامة فهي كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

فالله جل وعلا مع كل أحد لا تخفى عليه خافية، ومع أوليائه وعباده المتقين المحسنين، المستقيمين على دينه، معية نصر وتأييد وحماية وتسديد[١].

كما أن من سار على هدي النبي ﷺ واقتفى أثره، فإن له نصيبًا من معية الله الخاصة الواردة في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠] كما قال ذلك ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

وقد جاء في الحديث القدسي: أن الله تبارك وتعالى يقول: **«ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...»** الحديث[٢].

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٤٠٠)

(٢)رواه البخاري.

فهنيئًا للمستقيم على دينه: لا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه الله، وأصبح الله تعالى معه يسدده ويحميه ويحفظه من بين يديه ومن خلفه ، فما أكرمها وأسعدها من حياة، نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا من عباده المستقيمين وأوليائه المتقين...

الثامنة : تيسير الرزق والبركة في المال والعمر:

يقول الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦ – ١٧]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [الأعراف: ٩٦]

فهذا وعد من الله ﷻ وقسم منه ﷻ برغد العيش والتوسعة على أهل الاستقامة من غير عناء ولا تعب ولا كد ولا نصب.

وهذا أيضًا ورد في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢، ٣].

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ

يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤]

فالذي يتقي الله؟ هو المستقيم على دين الله تبارك وتعالى.

فهذه دعوة!! أوجِّهها إلى كل محتاج وإلى كل مديون وعاطل، إلى كل من يبحث عن عمل أو غير ذلك.

أقول هذه دورة مجانية تضمن لك بإذن الله تيسير الأمور والرزق والبركة في المال والعمر: دورة استقامة على شرع الله ﷻ، استقم على دين الله والتزم بهذا الدين، واصدق مع الله ﷻ، وأقبل عليه سبحانه، ثم انظر فإن الله لا يخلف وعده.

كما أن المعاصي والذنوب من أعظم أسباب حرمان الرزق ومحق البركة في المال والعمر، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ...﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[(١)].

وليست سعة الرزق بكثرته، ولا طول العمر بكثرة الشهور

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٢٢)، والحاكم (١/ ٤٩٣).

والأعوام، ولكن سعة الرزق وطول العمر بالبركة فيهما.

والبركة إنما تنال بطاعة الله تعالى والاستقامة على دينه، فليس للإنسان من عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله إلا ما أطاع الله به، وما سوى ذلك فهو ضياع أو وبال على صاحبه والعياذ بالله.

التاسعة: مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

هذا خاص بأهل الاستقامة الذين هم أكثر الناس تحقيقًا للتقوى وتحقيقًا للتوحيد وتحقيقًا لاتباع السنة والسلامة من البدع والشركيات وغير ذلك، وخاصة في آخر الزمان مع ضعف الإيمان وقلة الصالحين وكثرة المعاصي والفتن، فلا شك أن المستقيم الصابر على دينه أجره عند الله عظيم، فقد أخبر النبي ﷺ أن أجره يعادل أجر خمسين من الصحابة.

قال ﷺ: «**إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يوم بما أنتم عليه أجر خمسين منكم**»، قالوا: يا نبي الله منا أو منهم ؟؟ قال: «**بل منكم**»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد وأهل السنن، السلسلة الصحيحة ص ٤٩٤.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن أسباب المضاعفة) يعني: مضاعفة الحسنات (وهو أصل وأساس لما تقدم: صحة العقيدة وقوة الإيمان بالله وصفاته وقوة إرادة العبد ورغبته في الخير، فإن أهل السنة والجماعة المحضة وأهل العلم الكامل المفصل بأسماء الله وصفاته وقوة لقاء الله تضاعف أعمالهم مضاعفة كبيرة لا يحصل مثلها ولا قريب منها لمن لم يشاركوهم في هذا الإيمان والعقيدة).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: (ومن أسباب المضاعفة أن يكون العبد حسن الإسلام، حسن الطريقة، تاركًا للذنوب غير مُصِرٍّ على شيء منها، فإن أعمال هذا مضاعفة كما ورد بذلك الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف...**»[١] الحديث) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

فانظروا رعاكم الله كيف تضاعف الحسنات لمن حقق التوحيد، واستكمل إيمانه وحسن إسلامه واستقام على دينه، نسأل الله من فضله.

---

(١) متفق عليه.

(٢) الفتاوى السعدية ص ٣٦ – ٣٧.

العاشرة : حفظ الله لهم ولذريتهم:

يحفظ الله تعالى المستقيم في أهله وماله ونفسه وحاضره ومستقبله وفي كل شيء.

هذا قد ورد عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس المعروف: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...»[1] الحديث.

قال العلماء رحمهم الله : «احفظ الله» أي: احفظه في أوامره ونواهيه، بفعل الأوامر وترك النواهي.

وما هي النتيجة؟ (يحفظك الله) يحفظك في ماذا؟ في نفسك وأهلك وولدك ومالك وحاضرك ومستقبلك وفي دينك ودنياك وأخراك وفي كل شيء

وكذلك قال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا ...﴾ الآية [الكهف: ٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، وترفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم.

---

(١) رواه الترمذي وغيره بسند صحيح.

ونقل عن ابن عباس قوله في هذين الغلامين: حُفِظَا بصلاح أبيهما ولم يُذكر لهما صلاحًا.

قال سعيد بن المسيب لابنه: إني لأزيد في صلاتي من أجلك، رجاء أن أُحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه.

فليبشر أهل الاستقامة الذين هم أكثر الناس حفظًا لأوامر الله تعالى، بحفظ الله لهم في كل شيء وفي الدنيا والآخرة، والجزاء من جنس العمل.

الحادية عشرة: تحقيق التوحيد والإخلاص لله تعالى :

ومن فضائل الاستقامة كذلك أن الاستقامة من أعظم أسباب تحقيق التوحيد وكمال الإيمان والبُعد عن الشرك والسلامة من البدع والضلالات. وهذا واقع مشاهد في حياة كثير من الناس، تجدهم والله لا يكادون يسلمون من فعل أو قول بعض الأشياء الشركية والوقوع في البدع والضلالات ظنًا مهم أن هذا دين !! وأن هذا جائز !!

أما المستقيم على دين الله فقد عرف التوحيد وفضله؟ وعرف الشرك وخطره؟ وعرف كيف يحقق التوحيد؟ وعرف كيف يسلم من الشرك؟ وعرف ما وعد الله به عباده الموحدين المخلصين.

ولا يخفى علينا ما ورد في فضل التوحيد من الآيات والأحاديث الكثيرة، فمن ذلك:

ما أخبر عنه النبي ﷺ: «**أنه يدخل الجنة سبعون ألف من هذه الأمة بغير حساب ولا عذاب**»، وذكر من صفتهم ﷺ «**أنهم لا يَسْتَرْقون ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»[١].

وهذا كله يدور في دائرة تحقيق التوحيد.

وكذلك ما أخبر عنه النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[٢]. خالصًا من قلبه أي : موحدًا الله تبارك وتعالى، وعاملًا بما تقتضيه هذه الكلمة.

وأخبر النبي ﷺ أن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٣].

وقال ﷺ: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**»[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي، صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٤) متفق عليه.

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رُبَّ عمل كبير، تصغِّره النية، ورُبَّ عمل صغير، تكبّره النية.

فأهل الاستقامة هم أكثر الناس تحقيقًا للتوحيد وأكثر الناس سلامة وبعدًا عن الشرك والبدع والضلالات، وهم أولى وأحرى الناس بالفوز بفضل التوحيد بإذن الله تعالى.

أما غير المستقيم، الواقع في المنكرات والمعاصي فإن توحيده على خطر عظيم لأن المعاصي بريد الشرك كما قال العلماء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له : (ولا يمكن مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفو له التوحيد حتى لا يشرك بالله شيئًا، هذا من أعظم المحال، واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله، ورجائه لغير الله، وحبه لغير الله، وذله لغير الله، وتوكله على غير الله، ما يصير به منغمسًا في بحار الشرك)[1].

الثانية عشرة: تزكية النفس وحسن الخلق :

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٦) بتصرف يسير، وانظر كتابي ثمرات التوحيد والإخلاص في الدنيا والآخرة، نشر دار القاسم.

هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾...﴾ إلـــى قولـــه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ١٩ – ٣٥].

وقــال تعــالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ...﴾ [الفرقـان: ٦٣ – ٧٧].

كل هذه الأعمال هي من صفات أهل الاستقامة المحافظين على أوامر الله التاركين لنواهيه، وهذه شهادة من الله ﷻ بأن هـؤلاء هم أفضل الناس وصفوة المجتمع.

فأهل الاستقامة هم أحسن النـاس خلقًـا وأفضـلهم معاملـة على قدر ما عندهم من الاستقامة، وقد سلموا مما وقع فيـه غيـرهم من مساوئ الأخلاق.

ولذلك ترى أهل الاستقامة هم أهل الاعتدال في السرَّاء وفي الضراء، لا تطغيهم النعمة ولا تلهيهم المصيبة، لا يؤثر فـيهم الفقـر ولا تغويهم الولايات والمناصب، متَّزنين في الأفـراح وفي الأتـراح، ولا ينسون أو يغفلون عن ربهم سبحانه وتعالى في سرَّاء أو ضرَّاء.

قال ﷺ كما في صحيح مسلم: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمـره له كله خير، وليس ذلـك إلا للمـؤمن، إن أصـابته سـراء شـكر فكـان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**».

وحسن الخلق عبادة عظيمة وباب عظيم من أبواب الخير، ومرتبة عالية من مراتب أهل الإيمان والاستقامة.

قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا، أحاسنهم أخلاقًا**»(١).

وقال ﷺ: «**أثقل شيء في الميزان الخُلق الحسن**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن المسلم ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٣).

وقال ﷺ: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقًا**»(٤).

الثالثة عشرة: تحقيق محبة الله سبحانه ومحبة نبيه ﷺ:

ومن فضائل الاستقامة كذلك تحقيق محبة الله تبارك وتعالى بكمال الاتباع ومعرفة أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

كلما تعرف العبد على ربه أكثر كلما حقق محبة الله سبحانه وتعالى. وتحقيق المحبة هي أن يكون الله جل جلاله أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأولادنا والناس أجمعين.

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود، صحيح الجامع (١٢٣٠).

(٢)رواه الترمذي وأبو داود وابن حبان صحيح الجامع (١٣٤).

(٣)رواه أبو داود وابن حبان، صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٤)رواه الطبراني في الكبير صحيح الجامع (١٧٧).

ويقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**»(١) الحديث.

كثير من الناس يغفل عن هذا المعنى، أما أهل الاستقامة فتجدهم يحققون هذه المحبة لأنهم عرفوا الله جل وعلا بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ﷻ فزادت في قلوبهم هذه المحبة والانقياد والطاعة والإخبات والتعظيم وغير ذلك من الأحوال التي ينبغي أن يكون عليها العبد في علاقته بربه تعالى.

ولننظر إلى قصة ذلك الصحابي الجليل الذي كان كلما صلى بأصحابه قرأ بهم في الصلاة سورة الإخلاص: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص: ١] دائمًا كلما قرأ، قرأ هذه السورة، فلما سألوهُ قال: إنها سورة الرحمن وإني أحبها لأنها تتحدث عن الله ﷻ. سبحان الله العظيم !! انظروا إلى هذا الرجل كيف تفكَّر في هذه المعاني العظيمة لأنها : تتحدث عن أسماء الله وصفاته، فلذلك أحب هذه السورة وأحب قراءتها كثيرًا، فماذا قال عنه النبي ﷺ ؟

عندما رُفع الأمر إليه قال عليه الصلاة والسلام: «**أخبروه أن الله أحبه كما أحب هذه السورة**».

---

(١) متفق عليه.

وفي رواية : «**أخبروه أن حبَّه لها قد أدخله الجنة**»[١].

فيا سبحان الله؟ شتان بين من يقرأ هذه السور لأنها قصيرة ولا يتفكر في معانيها !!!!

وبين من يقرأ هذه السورة وهو يتفكر في معانيها ويحبها لأنها تتحدث عن الرحمن الرحيم سبحانه وبحمده..

وأهل الاستقامة كذلك تجدهم يعرفون النبي عليه الصلاة والسلام، يعرفون من أحواله وأقواله وأفعاله وأخباره الكثير مما يزيد المحبة في قلوبهم، وكما هو معلوم تحقيق محبة النبي عليه الصلاة والسلام من الواجبات.

لا بد لكل مؤمن ومؤمنة أن يكون الله ورسوله أحب إليه من أي شيء سواهما، كما جاء في الحديث الصحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[٢].

وكيف يكون هذا إلا بمعرفة أحواله عليه الصلاة والسلام وأقواله وأفعاله وأخباره وأخلاقه وشمائله وفضائله عليه الصلاة والسلام، وفضله على الأمة وأنه السبب في نجاتنا ودخولنا الجنة ومكانته عليه الصلاة والسلام بين الأنبياء، وما أكرمه الله به من

---

(١) القصة رواها البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه.

الخصائص.

فمحبتنا للنبي ﷺ محبة اختيارية قائمة على معرفة ذلك كله وليست محبة طبع كمحبتنا لأنفسنا، فاستحق ﷺ أن يكون أحب إلينا من أنفسنا لأنه سبب حصول كل خير ودفع كل شر في الدنيا والآخرة، وأما النفس فهي أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي(١).

وهذا لا يكون إلا عند أهل الاستقامة ، أما غيرهم من الناس فترى أحدهم لا يعرف شيئًا من أحوال النبي عليه الصلاة والسلام، بل والله حتى لو حدثته عن تحقيق المحبة ربما لا يعرف من ذلك شيئًا ، وهذا أمر خطير .... والله المستعان.

وعندما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي ﷺ : (لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال: «**لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر: «**فإنك الآن والله أحب إليّ من نفسي**»، فقال «**الآن يا عمر**»(٢).

الرابعة عشرة: ارتفاع درجة قَبول الأعمال والدعاء :

ومن فضائل الاستقامة كذلك ارتفاع درجة قبول الأعمال والدعاء.

---

(١) انظر : فتح الباري (١/ ٥٩)

(٢) رواه البخاري .

لأن المستقيمين على دين الله ﷻ هم أكثر الناس إخلاصًا لله ومتابعة للنبي ﷺ.

وهذا كما هو معلوم شرط قبول العمل: أن يكون خالصًا لله تعالى وموافقًا لسنة رسول الله ﷺ.

وهذا أكثر ما يكون عند أهل الاستقامة، لأنه كما مر معنا أن الاستقامة من أعظم أسباب تحقيق التوحيد وكذلك من أعظم أسباب تحقيق المتابعة والمحبة للنبي ﷺ، كما أن أعمالهم في الغالب أقل الأعمال موانعًا تمنع قبول العمل.

والله ﷻ قد قال في كتابه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]

ليس كل من تقرب وتعبد وعمل شيئًا يقبل منه، فلا يتقبل الله إلا من المتقين المستقيمين على دينهم الذين سلمت أعمالهم من الموانع، نسأل الله ﷻ أن يعاملنا بمنه وكرمه ولطفه وأن يعاملنا بما هو أهله إنه أهل التقوى وأهل المغفرة..

وكذلك من فضائل الاستقامة أنها من أسباب قبول الدعاء.

فكلٌّ يدعو ويتمنى أن يستجاب دعاؤه، ولكن هل يقبل دعاء كل أحد؟ لا، إنما يقبل دعاء الصالحين المستقيمين، الذين حققوا آداب الدعاء وبذلوا أسباب الإجابة، وتخلصوا من الموانع وغير ذلك.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وقد ذكر النبي ﷺ في الحديث: «**أن الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه : يا رب، يا رب، ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له**»(٢).

وقد مرّ معنا قول الرب سبحانه في الحديث القدسي عن أوليائه: «**ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه**»(٣).

فدل على أن دعاء الصالح المستقيم على دينه بإذن الله مستجاب، وليس كدعاء غيره من الناس.

وكل منا يتمنى أن يقبل دعاؤه وأن يستجاب منه، فعليه بالاستقامة وبذل أسباب الإجابة ومعرفة آداب الدعاء.

الخامسة عشرة: محاسبة النفس:

من فضائل الاستقامة كذلك دوام محاسبة النفس والأهبة والاستعداد للقاء الله تبارك وتعالى.

---

(١)رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣)رواه البخاري.

كثير من الناس تراه في حياته كأنه لن يموت ولن يحاسب، لا يستعد، ولا يحاسب نفسه ولا يراقب أعماله وتصرفاته.

أما المستقيم على دين الله فقد عرف أن أمامه حساب وموازين وصراط وجنة أو نار، فهو يتخيل ذلك دائمًا وهو دائم المحاسبة والمراقبة لنفسه ودائم الأهبة والاستعداد للقاء الله عز وجل.

دائمًا ينظر إلى الموت على أنه قريب وأنه إذا أمسى لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء، فينعكس ذلك على حياته وأعماله وعلاقاته ومعاملاته، فيكون بإذن الله تعالى أبعد الناس عن الذنوب والمعاصي.

وقد أمرنا الله تعالى أن نعد العدة وأن نحاسب أنفسنا وأن ننظر ماذا قدمنا لغد، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨]، وهذه آية المحاسبة كما قال العلماء.

وقال ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[(١)].

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح)[(٢)].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

وقال عبد الله بن مسعود ﵁: (إن المؤمن يرى ذنبه كالجبل يخاف أن يقع عليه)[1].

وكذلك جاء في الأثر أيضًا: «إن الله لا يجمع على عبده أمنين ولا خوفين، من أمن في الدنيا خاف في الآخرة، ومن خاف في الدنيا أمن في الآخرة».

وكذلك روي في الأثر: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

فالمستقيم على دين الله دائم المحاسبة، دائم المراقبة لنفسه، وهو على أهبة الاستعداد للقاء الله ﷻ، ودائمًا لا ينسى ذلك الموقف العظيم وذلك المصير المحتوم الذي لا بد منه لكل أحد، نعوذ بالله أن نكون من الغافلين.

السادسة عشرة: التفقه في الدين والعلم والفهم:

ومن فضائل الاستقامة كذلك الحرص على العلم الشرعي والتفقه في دين الله تبارك وتعالى والعبادة على بصيرة وهذا واقع مشاهد، ما أن يستقيم الإنسان على دين الله ويلتزم بأوامر الله تبارك وتعالى، إلا ويبدأ بطلب العلم ومعرفة الحلال والحرام، ويتفقه في دينه وتحسن عبادته ويعرف الأحكام الشرعية والواجبات والحقوق

(١) رواه البخاري.

التي له أو عليه مما يظنه كثير من الناس عادات وتقاليد، كحقوق الوالدين والأولاد، والحقوق الزوجية وحقوق العلماء وولاة الأمور، وحقوق سائر المسلمين، بل حتى حقوق غير المسلمين.

والله إن بعض الذين منَّ الله ﷻعليه بالاستقامة والهداية يقول عن نفسه: والله لا أدري كيف كنت أتوضأ !!! ولا كيف كنت أصلي!! ولا كيف كنت أصوم !!! أو أحج أو أعتمر!!! أو غير ذلك، كنا نفعل كما يفعل الناس !!! لا نعرف الأحكام ولا نتفقه في ديننا.

قال الله تعالى : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]، وهذه الدرجات في الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ: «**من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[1]، وهذا الخير في الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة»[2].

فكل من سلك طريقًا لتحصيل العلم سواء كان بقراءة كتاب أو بحضور محاضرة أو بذهاب إلى مسجد أو معهد أو

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم وغيره.

استماع إلى شريط أو غير ذلك من الوسائل، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ولو لم يكن من العلماء أو طلبة العلم.

وكذلك فأن أهل الاستقامة ينالون في المدة اليسيرة من العلوم والفهوم ما لا يناله غيرهم في مدة طويلة، وهذا من فضل الله ﷻ ثم من بركة الاستقامة لأنها نور في البصيرة ونور في الفهم والإدراك بخلاف غيرهم من عوام الناس ممن سيطرت عليهم ذنوبهم فحجبتهم عن كثير من الأنوار وعن معرفة دين الله ﷻ وفهم النصوص وإدراك المعاني.

قال سبحانه ﷻ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين: ١٤]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[الأنفال: ٢٩].

فالمؤمن كلما حقق التقوى بالاستقامة على دين الله ، كلّما علّمه الله وفتح عليه وجعل له فرقانًا يفرق بين الحق والباطل وبين النافع والضار، بخلاف الغارق في المنكرات والمحرمات، فإن قلبه محجوب عن معرفة الحق والفهم عن الله ورسوله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المؤمن الصادق إذا عَبَدَ الله بما شرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة).

فالإيمان القوي يقوي الإدراك ويشحذ القريحة ويزيد العلم ويبارك في الأوقات والأعمار، وهذا والحمد لله واقع مشاهد.

كم من الناس كان قبل الاستقامة لا يفهم القرآن والأحاديث، بل ربما لا يحسن قراءة القرآن، ولا يعي خطبة الجمعة، ولا كلام العلماء ولا الدروس والمحاضرات، وما إن استقام حتى أصبح يحسن قراءة القرآن ويفهمه، ويفهم كلام أهل العلم في الكتب ويفهم الخطب والدروس والمحاضرات، ويقتني الكتب النافعة وأصبح عقله أوفر وأكمل، وفكره أصح ورأيه أسدَّ، والصواب قرينه.

وأعرف أحد الإخوة، عمره ثلاثون سنة، كان قبل استقامته لا يحسن قراءة الفاتحة، ثم أصبح بعد ذلك يحفظ البقرة وآل عمران والأجزاء الخمسة الأخيرة بعد استقامته بسنتين فقط.

السابعة عشرة: أهل القرآن :

من فضائل الاستقامة كذلك القيام بحق كتاب الله تبارك وتعالى الذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ دستورًا وعزًا وشرفًا لهذه الأمة.

وهذا واقع مشاهد لا تكاد ترى من يهتم بكتاب الله قراءة وتلاوة وحفظًا وتدبرًا وغير ذلك من وجوه العناية إلا أهل

الاستقامة. كثير من الناس لا يقرأون القرآن ولا يعرفونه إلا في رمضان فقط.

أما أهل الاستقامة فهم أسعد الناس بكتاب الله ﷻ وأقرب الناس إلى هذا الكتاب العظيم.

قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»(٣).

وأصحاب القرآن ليس هم من يحفظه فقط، بل كل من يقرأه أو يتدبره أو يعلِّمه أو غير ذلك من وجوه العناية بكتاب الله تعالى، فهو من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن لله تعالى أهلين من الناس، أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته**»(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب.

(٣) رواه مسلم.

(٤)رواه أحمد والنسائي، صحيح الجامع (٢١٦٥).

الثامنة عشرة: دعوة الرسول والملائكة والمصلين :

يقول تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ...﴾ الآية [محمد: ١٩].

فهذا إكرام من الله تعالى للمؤمنين المستقيمين من هذه الأمة، حيث أمر نبيهم أن يستغفر لهم وهو الشفيع المجاب فيهم.

وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر: ٧-٩].

فالملائكة الكرام تدعوا وتستغفر للمؤمنين التائبين المتبعين لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهم أهل الاستقامة على الإيمان ولا يدخل معهم في حصول هذه الدعوات المباركات من لا يتصف بصفاتهم.

وكذلك يدعو كل مصل لأهل الاستقامة الصالحين بالسلام والسلامة.

وهذا قد أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام عندما علمنا كيف نقرأ في التشهد (التحيات).

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث: «من قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) أصاب هذا السلام كل عبد صالح في السموات والأرض»[1].

وأهل الاستقامة هم عباد الله الصالحون القائمون بحقوق الله وحقوق عباده فهم أولى الناس بهذا الدعاء العظيم، بالسلام والسلامة من جميع الآفات، نسأل الله من فضله تبارك وتعالى.

التاسعة عشرة: كرامة من الله تعالى:

ومن فضائل الاستقامة كذلك أنها كرامة من الله ﷻ وعصمة من تخبط الشيطان والهوى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أعظم الكرامة لزوم الاستقامة)[2].

وقال الله جل وعلا: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [الحج: ١٨].

---

(١) متفق عليه.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٦).

قال العلماء: من أهانه الله بالشقاء أو المعصية أو الكفر، لا يقدر أحد على دفع الهوان عنه ولا يجد من يكرمه أي إكرام.

فإذا استقام الإنسان بفعل الطاعات وترك المنكرات فقد أكرمه الله، أما إذا لم يستقم على دين الله ووقع في المعاصي ووقع في المحرمات، فقد أهانه الله بوقوعه في هذه المخالفات وهذه المعاصي، فالطاعة عز وكرامة والمعصية ذل وإهانة.

قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ [الجاثية: ٢١].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (أي: أحسبوا أن يكونوا سواء في الدنيا والآخرة؟؟ ساء ما ظنوا وحسبوا، وساء ما حكموا به، فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين وخير العادلين ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة، ويضاد ما نزلت به الكتب وأخبرت به الرسل، بل الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين العاملين الصالحات لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب في العاجل والآجل، كل على قدر إحسانه، وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة والعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة).

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ

ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: ٣٩ -٤٢].

فالله تبارك وتعالى قد جعل العصمة من الشيطان لعباده المخلصين المستقيمين على دينه.

وكلما استقام الإنسان على دينه وحقق التقوى، كلما كان أكرم عند الله تعالى، ولو كان من أفقر الناس وأقلهم حسبًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]

وقال ﷺ: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»(١).

كم من إنسان كان في حياته لا شيء، لا يُذكر ولا يُعرف، غارق في المحرمات والمنكرات والمعاصي، وما أن استقام على دين الله حتى أصبح ذا شأن، وأصبح إنسانًا آخر كأنه وُلِد من جديد كما يقال.

صدق الله تعالى القائل ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر: ١٠].

أي: فليطلبها بطاعة الله فإنه لا يجدها إلا في طاعته سبحانه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقد كان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك، فكلما عمل المسلم بطاعة الله ارتفع درجة، ولا يزال في ارتفاع حتى يكون من الأعلين في الدنيا والآخرة، وأما إذا وقع في المعاصي والذنوب صار أهون خلق الله عليه وجعل الذلة والصغار عليه.

قال ﷺ في الحديث: «**بُعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل والصَّغار على من خالف أمري**»(١).

فكل من استقام على هذا الدين رفعه الله ولو كان عبدًا حبشيًا، كما أن من خالف أمر الله وضعه الله ولو كان سيدًا هاشميًا.

العشرون: كثرة الطاعات:

ومن فضائل الاستقامة كذلك عمارة الوقت بكثير من الطاعات والعبادات المتنوعة.

كثير من الناس يظن أنه ليس في حياته اليومية من العبادات إلا هذه الصلوات الخمس، أما المستقيم فتجده يعمر يومه كاملًا بذكر الله ﷻ والاستغفار وشتى أنواع العبادات من الصلوات وحضور المحاضرات والدروس وقراءة القرآن وقراءة الكتب

---

(١) رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣١).

النافعة، ولو لم يكن عنده شيء فإنه يذكر الله ويستغفر صباح مساء.

كذلك تجد المستقيم يحتسب كل عمل يكون فيه، فينقلب ذلك العمل من عمل مباح أو عادة، إلى عبادة وقربة وطاعة، فتجده من الصباح إلى المساء يتقلب في كثير من العبادات.

وأما غير المستقيمين فتجد عباداتهم تنقلب إلى عادات لأنهم لا يحتسبون فيها النية الصالحة ولا يحتسبون فيها الأجر من الله، ولا يحتسبونها عبادة عند الله ﷻ.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إني لأحتسب نومتي كما احتسب قومتي.

قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله ورفع درجته: (الرجل يأكل الطعام شهوة فقط، والرجل الآخر يأكل الطعام امتثالًا لأمر الله ﷻ في قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [البقرة: ١٨٧]، فصار أكل الثاني عبادة، وأكل الأول عادة)[١].

الحادية والعشرون: علو الهمة:

من فضائل الاستقامة كذلك علو الهمة في العبادة بجميع أنواعها.

---

(١) شرح الأربعين النووية ص ٨.

فالمستقيم على دين الله ﷻ قد عرف من همم العلماء والعباد وما كانوا يتقربون به ويتعبدون الله ﷻبه، فلذلك تجد عنده من الهمة والحرص على العبادات لعله يصل إلى ما وصل إليه أولئك الأخيار والصالحون.

فيجتهد في الأذكار والصلوات والصيام وقراءة القرآن والدعوة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شتى أنواع العبادات لأن عنده قدوات عظيمة قد تعرف عليهم من خلال معرفته بأحوالهم، فيسعى لتحصيل أعلى درجات الكمال.

وأما غير المستقيم فتجده لا ينافس ولا يسابق ولا يسارع وليس عنده شيء من ذلك لأنه ربما يرى نفسه مع تقصيره وتفريطه أنه قد وصل إلى درجات عظيمة وعالية في العبادة، والله المستعان.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ...﴾ الآية [آل عمران: ١٣٣].

وقال سبحانه: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ...﴾ الآية [الحديد: ٢١]

وأذكر هنا قصة امرأة صالحة اتصلت بي تقول إنها قد تعودت أن تقوم في ساعة معينة من الليل للصلاة والذكر، وتسأل: هل يجوز لها أن تقوم في تلك الساعة للذكر والدعاء فقط بدون صلاة إذا كانت حائضًا ؟؟ فقلت لها: نعم لا بأس.

فسبحان الله ما أعلى وأكبر همة هذه المرأة المؤمنة في العبادة والحرص على الخير.

الثانية والعشرون : الحرص على الدعوة:

ومن فضائل الاستقامة كذلك الحرص على الدعوة وحمل هَمَّ هذا الدين والاهتمام بقضايا المسلمين.

وهذا واضح مشاهد في واقع الناس : شتان بين حياة المستقيم على دين الله وحياة غيره من الناس.

عندما تتحدث مع أحدهم من غير المستقيمين عن الدعوة وحمل همِّها والعمل في سبيلها، من نشر الكتب النافعة والمساعدة في إقامة المحاضرات والدروس وتوزيع الأشرطة والكتيبات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، تجده لا يعرف من ذلك شيئًا ولا يحمل هَم هذا الدين ولا يهتم بقضايا المسلمين.

أما الإنسان المستقيم على دين الله ﷻ فتجده قد اهتم بالدعوة واهتم بأحوال المسلمين ويبذل في سبيل ذلك نفسه وماله ووقته، بل حتى لو لم يكن عنده شيء على الأقل فإنه يدعو لكل من

يحمل هَم الدعوة ويشارك فيها.

وكلما سمع شيئًا عن أحوال المسلمين شاركهم في أفراحهم وأحزانهم، وهذا واضح مشاهد في حياة الناس.

ولا يخفى علينا أهمية الدعوة في حياة المسلم ومكانتها وفضائلها، فالنصوص الواردة في ذلك أكثر من أن تُحصر.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨]

فكل من اتبع النبي ﷺ بصدق واستقام على دينه، لا بد أن يدعو إلى الله.

وقال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه...**» الحديث[1].

وقال ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[2].

اذكر قصة طريفة عجيبة وهي أن امرأة من أهل الاستقامة قد استقدمت خادمة من إحدى الدول في شرق آسيا، فلما جاءت هذه الخادمة وتكلمت معها هذه المرأة المستقيمة الصالحة، اكتشفت أن هذه الخادمة لا تعرف شيئًا عن دينها، فتعجبت هذه المرأة من

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه مسلم وغيره، وانظر كتابي فقه الدعوة.

هذا الواقع.

فقالت لها الخادمة: الناس هناك أكثرهم على هذا المستوى والحال، فقالت لها هذه المرأة: إذًا إبقي هنا طيلة هاتين السنتين ولا أريد منك إلا عملًا يسيرًا، وأريد منك أن تتفرغي لطلب العلم والقراءة حتى تعودي داعية إلى الله ﷻ في بلادك.

سبحان الله العظيم! انظروا كيف حملت هذه المرأة المستقيمة هم الدعوة وكيف وجهت هذه الخادمة.

انتظمت هذه الخادمة واستمرت في حضور الدروس وطلب العلم حتى أنهت مدة السنتين وعادت إلى بلدها داعية إلى الله ﷻ، فالله أكبر كيف يكون تأثيرها وأثرها في بلادها وكل ذلك في صحيفة حسنات هذه المرأة الصالحة المستقيمة التي حملت هم الدعوة واهتمت بقضايا المسلمين.

كذلك أحد الإخوة من الهند وهذا رجل أعرفه شخصيًا يعمل في إصلاح الإطارات كما نسميه (البنشري)، وكان رجلًا عاميًا لا يعرف شيئًا عن دينه، فلما أتى هنا وتعرف على بعض الإخوة وبدأ في الاستقامة على دين الله ﷻ وطلب العلم بدأت تتغير أحواله، فقال: أنا لن أبقى هنا، أنا لا بد أن أرجع إلى بلادي وأدعو الناس إلى دين الله ﷻ حتى يستقيموا كما استقمت وكما عرفت، لقد ولدت من جديد.

فرجع هذا الرجل وبدأ يعمل هناك، فيسَّر الله ﷻ له افتتاح مدرسه وبنى عددًا من المساجد وأصبح من الدعاة المعروفين، سبحان الله العظيم كيف تغير حاله عندما استقام على دين الله ﷻ.

الثالثة والعشرون: دعوة صامتة وقدوة صالحة :

ومن فضائل الاستقامة كذلك أن الاستقامة في ذاتها دعوة صامتة وقدوة حسنة صالحة في المجتمع.

فالمستقيم على دين الله ﷻ يدعو الناس بسلوكه وبسمعته الطيبة وبسيرته الصالحة من دون أن يتكلم.

فكم من إنسان يراه فيتأثر بشكله أو يسمع عنه فيتأثر بسيرته مع أهله أو يتأثر مما يسمعه عن تصرفاته في حياته، فتكون حياته وسيرته دعوة صامته وقدوة مؤثرة في الناس حتى ولو لم يتكلم أو يقول شيئًا، وهذه من فضائل الاستقامة ولله الحمد.

كم من إنسان دخل في الإسلام بسبب موقف أو معاملة، وكم من مسلم تاب واستقام بسبب ذلك أيضًا.

بل إن التاريخ الإسلامي يؤكد لنا أن هناك دولًا وشعوبًا دخلت في دين الإسلام بسبب معاملة التجار المسلمين.

كما أن الاستقامة تكثر سواد الصالحين في المجتمعات، وفي ذلك تشجيع على الاستقامة والصلاح وفعل الخير

وكذلك فإن فيها إغاظة للمنافقين والعصاة والفجرة، عندما يرون كثرة المستقيمين الصالحين الملتزمين بدينهم.

فهذه من الآثار الطيبة التي تحصل لأهل الاستقامة في حياتهم ويؤجرون عليها بإذن الله تعالى.

الرابعة والعشرون : معرفة الصالحين :

إذا استقام المسلم تعرف على أهل الاستقامة من الطيبين الصالحين، وعلماء الأمة من السلف الصالح ومن بعدهم.

أما غير المستقيم فلو سألته عن علماء الأمة أو عن الأئمة الأربعة مثلًا أو عن أحد من العباد والصالحين، لوجدته لا يعرف منهم أحدًا؟!!

اما المستقيم على دينه فتجده قد تعرف على هؤلاء الأخيار من علماء الأمة وعبَّادها ودعاتها وصالحيها على مدار تاريخ الأمة الطويل.

وكذلك تجد المستقيم قد تعرَّف على أهل الاستقامة في حياته وفي عصره فجالسهم وتعرف عليهم واستفاد منهم.

ولا يخفى أن مجالسة الصالحين تنفع في الدنيا وتشفع في الآخرة، وهذا من فضل الله ﷻ.

وقد أخبر الله ﷻ : بهذا في كتابه كما أخبر به النبي ﷺ عليه

الصلاة والسلام.

يقول الله ﷻ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٩٧]

الأخلّاء في هذه الدنيا يومئذ، يعني يوم القيامة، بعضهم لبعض عدو، فتقلب هذه الخلة والمحبة والصداقة إلى عداوة والعياذ بالله لأنها لم تكن على استقامة وطاعة، وإنما كانت على معاصي ومنكرات ومخالفات.

إلا المتقين: فصحبتهم وصداقتهم وخلتهم مستمرة في الآخرة، ينتفعون بها كما كانت في الدنيا.

وأن جاء من النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين: «أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فإن أهل الجنة يتفقدون أنفسهم وإخوانهم، فيقولون: يا رب عبدك فلان كان يذكرك معنا، يصلي معنا، يصوم معنا، ما لنا لا نراه؟

فيأذن الله ﷻ في شفاعة الصالحين، فيقول الله ﷻ: اذهبوا فأخرجوا من أهل النار ممن تعرفون من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان».

فالله أكبر، انظروا إلى فضائل الاستقامة وفضائل مجالسة الصالحين المستقيمين حتى وهم في الجنة ما نسوا أصحابهم وجلسائهم فذكروهم واستنقذوهم من عذاب الله وشفعوا لهم،

وهذه من الشفاعات المثبتة التي أخبر عنها النبي ﷺ، نسأل الله أن يرزقنا محبة الصالحين في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة(١).

الخامسة والعشرون: القَبول في الأرض:

من فضائل الاستقامة كذلك القَبول في الأرض ومحبة الناس.

وهذا أمر لا ينشده الإنسان لذاته ولكنه يأتي تبعًا وهو من فضل الله ﷻ ومن عاجل بُشرى المؤمن في الدنيا كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح، كما أنه من أسباب السعادة والثبات في الدنيا والآخرة بلا شك.

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره عند هذه الآية (البشارة في الدنيا هي الثناء الحسن والمودة في قلوب المؤمنين والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق وصرفه عنه مساوئ الأخلاق).

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٩ – ٢٣٥

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله: الرجل يعمل العمل لنفسه، ويحمده الناس عليه ويثنون عليه به، ويحبه الناس، فقال ﷺ: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»(١).

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦] أي: مودة في قلوب الناس.

وقد أخبر ﷺ كما في صحيح مسلم: «إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيوضع له القبول في الأرض»، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى.

وقال ﷺ: «من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في أرضه»(٢).

وكما قلت: هذا الأمر لا يتطلع إليه الإنسان ولا يطلبه، لأن المؤمن المخلص لا يرجو بعمله إلا وجه الله والدار الآخرة، لكنه إذا رأى ذلك أو سمعه من الناس مع ما يوافق عنده من الإخلاص. صار من علامات القبول عند الله تعالى.

قال ابن القيم رحمه الله له في كتابه الداء والدواء (١٢٧):

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم.

(٢) متفق عليه.

(ومن أعظم نعم الله على العبد: أن يرفع له بين العالمين ذكره، ويُعلي له قدره، ولهذا خص أنبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم، كما قال تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ [ص: ٤٥، ٤٦] أي : خصصناهم بخصيصة، وهي الذكر الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار، وهو لسان الصدق الذي سأله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء : ٨٤] وقال سبحانه عنهم وعن نبيه ﷺ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾[مريم: ٥٠]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤].

فأتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميرائهم من طاعتهم ومتابعتهم، وكل من خالفهم فاته من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم).

ومن جميل ما يروى في شأن ما جعله الله من القبول لبعض عباده، أن رجلًا جاء إلى يزيد بن عبدالملك، فقال: إن أباك (عبدالملك) أعطاني أرضًا في المحل الفلاني ، ثم جاء عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأخذها مني ؟؟!

فقال يزيد : سبحان الله !! الذي أعطاك الأرض لم تقل له:

رحمه الله ، والذي أخذها منك ، قلت له : رحمه الله.

فقال الرجل : لست الذي يقول هذا وحدي ، كل الناس يقولونه.

ومن فضائل هذا القبول والمودة والمحبة أننا نرى الناس يذهبون إلى أهل الاستقامة ويطلبون استشارتهم ومساعدتهم، وهذا باب عظيم من أبواب العبادة والخير .

المسلم لا يطلب هذا الشيء لذاته ، لا يطلب الجاه والرئاسة وغير ذلك ، وإنما هي تأتيه ويستغلها في طاعة الله.

فالإنسان يفرح بهذا عندما تفتح له مجالات لخدمة هذا الدين عن طريق قضاء حوائج الناس.

فأهل الاستقامة بحمد الله محل حسن ظن المجتمع ، فالناس يفزعون إليهم ويستشيرونهم ويطلبون مساعدتهم ، فترى كثيرًا من المستقيمين يسعون في قضاء الحاجات وإصلاح ذات البين وغير ذلك من الأعمال الجليلة.

وقد قال النبي ﷺ: «أحب عباد الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه

رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[1].

وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]

السادسة والعشرون: الهيبة والإجلال:

قال ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا...**»[2] الحديث.

والشاهد من هذا الحديث: قوله: «**نُصرت بالرعب**».

قال العلماء: هذا ليس خاصًا بالنبي ﷺ، بل هو عام لأمته من بعده، فكلما استقامت الأمة على دينها، جعل الله لها في قلوب أعدائها من الرعب والهيبة ما يكون سببًا في انتصارها[3].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني، صحيح الجامع رقم (١٧٦).

(٢) متفق عليه من حديث جابر.

(٣) انظر: فتح الباري (١/ ٤٣٧) نيل الأوطار (١/ ٣٢٧).

وكذلك كل من استقام من المسلمين على دينه، جعل الله له في قلوب الآخرين من الهيبة والإجلال والتوقير على قدر استقامته.

قال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورفع درجته : (إذا كانت الأمة على سيرة نبيها ، ثبت لها ذلك ولا شك، لأن المعنى الذي نصر من أجله الرسول ﷺ ، إذا وجد في أمته فالنصر باق)[(١)].

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير، عضو هيئة كبار العلماء، حفظه الله ورعاه : (لا شك أن الرعب موجود في كل من اقتدى به عليه الصلاة والسلام والهيبة التي يقذفها الله جل وعلا في قلوب العباد، وإن كان هذا الشخص في ظاهره صاحب خلق، وصاحب ابتسامة، وصاحب لين جانب، لكن بقدر ما عنده من الاستقامة، يجعل الله في قلوب غيره من الرهبة له والهيبة ما يجعل. وكل له نصيبه بقدر اقتدائه بالنبي ﷺ وهذا شيء مشاهد)[(٢)].

السابعة والعشرون : السلامة من الحيرة والاضطراب:

من فضائل الاستقامة كذلك السلامة من الحيرة والاضطراب والقلق والشكوك وغيرها من الأمراض النفسية والهموم والغموم.

---

(١) شرح بلوغ المرام (١/ ٦٣٠).

(٢) مجموعة أشرطة شرح جوامع الأخبار. حديث (٢٦).

فأهل الاستقامة قد عرفوا كثيرًا من القضايا والمسائل والأحكام الشرعية وعلامات الساعة، وما أخبر عنه النبي ﷺ من الحوادث وما يكون من الصراع بين الحق والباطل، وما يكون من الصراع بين أهل الإسلام وأهل الكفر.

فالمستقيم على دينه قد قوي توحيده وكمل إيمانه وعرف أن كل ما يواجهه المسلم في هذه الحياة من مرض أو خوف أو مصيبة، وما يحصل للناس من سرَّاء أو ضرَّاء، إنما هو بقضاء الله وقدره.

أما غير المستقيم فتجده في حيرة واضطراب وهم وقلق، لا يفهم كثيرًا من القضايا والأحداث التي تحدث اليوم ولا يعرف شيئًا عما أخبر عنه النبي ﷺ، وقد غاب عنه الإيمان بالقضاء والقدر، وأن كل ما يحدث في هذا الكون إنما هو بقضاء الله وقدره، فسيطرت عليه الهموم والغموم والخوف والقلق وهجمت عليه الأمراض النفسية، ونسي أن الله قد قدر المقادير، وأن المستقبل لهذا الدين والعاقبة للمتقين.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف: ٩].

ويقول سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى

ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال ﷺ: «**كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»(١).

الثامنة والعشرون: جمال الصورة وبهاء الوجه:

من فضائل الاستقامة كذلك ما ذكر العلماء من جمال الصورة الظاهرة وبهاء الوجه في الدنيا والآخرة.

وهذا بحمد الله واقع مشاهد؛ لأن ما في القلب ينعكس على صفحات الوجه فكلما حقق الإنسان الاستقامة كلما أكرمه الله بجمال الصورة الظاهرة وبهاء الوجه؛ لأن المعاصي والذنوب ظلمات في الوجه والعياذ بالله.

يقول الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال العلماء: كلما كثرت العبادة، استنارت الوجوه وظهر على صاحبها السمت الحسن والخشوع؛ لأن للحسنة نورًا في القلب وضياءً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكلما كثر البر والتقوى

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢)انظر: تفسير ابن كثير، وتفسير ابن سعدي رحمهما الله، عند الآية السابقة.

قوي الحسن والجمال، وكلما قوي الإثم والعدوان قوي القبح والشين حتى ينسخ ذلك ما كان للصورة من حسن وقبح، فكم ممن لم تكن صورته حسنة ولكن من الأعمال الصالحة ما عظم به جماله وبهاؤه حتى ظهر ذلك على صورته...)[1].

التاسعة والعشرون: الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد فيها:

من فضائل الاستقامة كذلك، أنها لا تمنع المؤمن من التوسع في الدنيا، والسعي في كسب الرزق الحلال، ليكفي المؤمن بذلك نفسه ومن يعول، ويستعين بها على طاعة الله ويستغني عن الناس، ويقطع الطمع عما في أيديهم، ومع ذلك لا تكون الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه، ولا تشغله عما أوجب الله تعالى عليه.

كثير من الناس يخلط في هذا الأمر، فإما أن يتوسع في الدنيا بدون ضوابط وينشغل بها عن الآخرة، وكأنه خلق من أجلها، فتراه قد ترك الواجبات ووقع في المحرمات والعياذ بالله من أجل تحصيل هذه الدنيا الفانية.

وإما أن يُعرض عنها تمامًا ويشدد على نفسه ويحرمها مما أحل الله لها، فتراه يعيش عالة على الناس، ويضيِّع نفسه ومن يعول، ويفوته خير كثير، وكل هذا باسم الزهد في الدنيا والإعراض عنها والتعلق بالآخرة.

---

(١) الاستقامة لابن تيمية (١/ ٣٦٥).

ولا يخفى أن الزهد الصحيح هو كما قال العلماء: ترك ما لا ينفع في الآخرة.

وقيل هو: ترك فضول الدنيا مما يشغل عن الآخرة، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، حيث قال في الحديث الصحيح: «**أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١].

وكذلك كان حال بعض خيار الصحابة كالصديق، وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أثرياء الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم من السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

فقد عرفوا ما لهم وما عليهم من هذه الدنيا، فجعلوها في أيديهم ولم يجعلوها في قلوبهم، فأخذوا منها ما يكفيهم وزهدوا فيما لا ينفعهم في الآخرة ولا يعينهم على عبادة ربهم، وبذلوها رخيصة في نصرة دين الله تعالى.

ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ...﴾ [القصص: ٧٧] .

وقول النبي ﷺ في الحديث: «**من كانت الآخرة همه، جعل**

---

(١) متفق عليه

الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»(١).

نسأل الله أن يجعل هذه الدنيا في أيدينا ولا يجعلها في قلوبنا، وأن يرزقنا منها ما يعيننا على طاعته.

الثلاثون : الجمع بين التوكل على الله وبذل الأسباب:

التوكل على الله تعالى من أعلى مقامات العبودية لله تعالى، ولذلك قرن الله بينه وبين العبادة، كما في قوله تعالى : ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ ...﴾ [الملك: ٢٩]، وقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

كثير من الناس لا يعرف التوكل الصحيح على الله تعالى، فإما أن ينكر الأسباب ويعطلها تمامًا بدعوى التوكل على الله، وإما أن يترك التوكل على الله تعالى ويتعلق بالأسباب وبالتالي يقع في الشرك.

وقد قال العلماء: (الإلتفات إلى الأسباب شرك، وتعطيل

---

(١) رواه الترمذي، وهو في صحيح الجامع (٢٠٦٨). خماصاً: خالية البطون، بطاناً: ممتلئة البطون.

الأسباب والإعراض عنها نقص في العقل وقدح في الشرع).

فالاستقامة على الدين تجعل المسلم يتوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب، وهذا في الحقيقة هو التوكل الصحيح، وأما ترك الأخذ بالأسباب فهو تواكل وليس توكلًا.

قال ﷺ في الحديث: «**اعقلها وتوكل**»[1].

وقال ﷺ في الحديث : «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[2].

فالمستقيم على دينه قد حقق التوحيد وعرف التوكل الصحيح على الله تعالى فعمل بالأسباب المشروعة مع عدم تعلق قلبه بها مهما عظمت، فحامل التوحيد لا يحمل هم الأسباب، ولا تشغله عن الاعتماد على ربه مسبب الأسباب سبحانه وتعالى..

الحادية والثلاثون: تحقيق الولاء والبراء:

من فضائل الاستقامة أنها تجعل المسلم يحقق الولاء والبراء الذي هو أصل عظيم من أصول العقيدة الإسلامية.

والولاء: هو محبة المؤمنين وموالاتهم ونصرتهم وإكرامهم على قدر ما معهم من إيمان.

(١) رواه الترمذي، صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي، وهو في صحيح الجامع (٥٢٥٤).

والبراء: هو بغض أهل الشرك والنفاق والعصيان والبراءة من كل عمل لا يرضي الله ورسوله ﷺ.

فالولاء والبراء عقيدة إسلامية يجب على كل مسلم ومسلمة تحقيقه، فيحب ويبغض لله تعالى وليس لأي مصلحة أخرى من المصالح الدنيوية.

فأهل الاستقامة قد عرفوا هذه العقيدة وطبقوها في حياتهم وفي معاملاتهم وعلاقاتهم، بخلاف غيرهم من عامة الناس الذين ربما لا يعرفون معنى الولاء والبراء.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ...﴾ [المجادلة : ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ الآية [الحجرات: ١٠].

وقال ﷺ: «**إن أوثق عُرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض في الله**»(١).

---

(١) رواه أحمد وهو في صحيح الجامع (٢٠٠٩).

وقال ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي ألا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله)[٣].

ولو تأملنا كتب عقائد المسلمين لوجدناها قد تحدثت عن الولاء والبراء بأوضح عبارة، ولا يخلو كتاب منها عن الحديث عن هذا الموضوع.

حتى قال أحد العلماء[٤]: (إنه ليس في كتاب الله تعالى بعد بيان وجوب التوحيد وتحريم الشرك، حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، يعني الولاء والبراء).

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي، صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٣١٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣٨).

(٤) هو الشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله، في كتابه سبيل النجاة والفكاك.

الثانية والثلاثون: خير البرية:

من فضائل الاستقامة على دين الله تعالى، أن المستقيمين الذين جمعوا الإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات وتقربوا بالطاعات إلى ربهم، هم خير البرية، أي: خير من برأ الله تعالى وخلق، وقد وعدهم الله يوم القيامة جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ...﴾ [البينة: ٧، ٨].

ولنتأمل كيف قدم الله تعالى ثناءه على المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنهم خير البرية على ذكر جزائهم وهي الجنة، وذلك لأن ثناءه سبحانه المتضمن رضاه ومحبته هو أعظم الجزاء والثواب، وأعظم مرتبة وأعلى منقبة.

* قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند هذه الآيه: (وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة، لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

* وقال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خير خلق الله عَزَّوَجَلَّ

هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات)[1].

فالمستقيم على دين الله تعالى قد جمع الخيرية من جميع وجوهها، فهو خير البرية باستقامته على إيمانه وعمله الصالحات.

وهو من خير أمة أخرجت للناس ومتبع لخير وأكرم رسول ونبي ﷺ، ويتعبد بخير الشرائع وأكملها كتابًا وأحكامًا.

الثالثة والثلاثون : حب العبادة والتلذذ بها:

المستقيم قد عرف ما وعد الله ﷻعباده المتقربين إليه الطائعين له من أنواع الثواب والجزاء والخير العظيم والفضل العميم في الدنيا والآخرة، ما يجعله دائمًا محبًا للعبادة مسارعًا في فعل الخير والتقرب إلى الله ﷻ وتلبية نداء الله تبارك وتعالى متلذذا بهذه العبادات.

والتلذذ بالعبادة في الدنيا والأنس بطاعة الله وبمناجاته سبحانه، هو جنة الدنيا كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم من العلماء، فقالوا: (إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة)، ما هي جنة الدنيا ؟ قالوا: لذة العبادة، والأنس بطاعة الله ومناجاته وبذكره ﷻ، وهذا لا يكون إلا لأهل الاستقامة على دين الله تعالى.

(١)انظر: تفسير جزء عم ص ٢٨٠

أما غير المستقيمين فتجد أحدهم لا يكاد يأنس بعبادة ولا يطمئن فيها ولا يخشع فيها ولا يتلذذ بها.

يقول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

كم من إنسان يذكر الله صباح مساء ولا يطمئن قلبه بل ربما زاد همه وغمه والعياذ بالله لأنه لا يذكر الله بخشوع ولذة وحضور قلب، أما الإنسان المستقيم الذي عرف حق الله ﷻ فإن وعد الله لا يخلف فتجده يطمئن قلبه بذكر الله ويأنس بطاعته سبحانه.

فالصلاة مثلًا يقول الله عنها: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

ويقول ﷺ: «**يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها**»[١].

وقال ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٢].

هذه الأشياء لا يجدها إلا أهل الاستقامة فهم الذين يتلذذون بطاعة الله من صلاة وذكر وقراءة وتسبيح واستغفار وغير ذلك ويستعينون بها على دنياهم، أما غير المستقيم فتجده إذا كثرت أشغاله نسي الصلاة!! أو لا يخشع في صلاته؟! وهذا واضح

---

(١) رواه الإمام أحمد، صحيح الجامع (٢٩٨٦).

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي، صحيح الجامع (٣١٢٤).

ومشاهد، نعوذ بالله من قسوة القلب والغفلة.

فكلما كان الإنسان مستقيمًا على دين الله ﷻ كلما كان سريعًا في طاعة الله بطيئًا عن معصيته كلما كان يفرح لتلبية نداء الله ﷻ ولفعل أوامره وتجده دائمًا مسارعًا مسابقًا في ذلك ومبادرًا لا يتلكأ ولا يتحايل.

أما الإنسان غير المستقيم فتجده يستثقل العبادة والطاعة ولا يكاد يمتثل أمرًا ولا يفعل شيئًا إلا متبرمًا متضايقًا منزعجًا إلى غير ذلك والعياذ بالله.

ولذلك شتان بين من أمروا بذبح بقرة فتلكؤوا فيها : ما هي؟ ما لونها؟ ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا﴾.

شتان بينهم وبين من أمر بذبح ولده؟! وفلذة كبده فبادر للامتثال لأمر الله ﷻ: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ شتان بين هذا وهذا!!

فأهل الاستقامة على دين الله ﷻ شعارهم وديدنهم ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

وقد قال العلماء: إن الذي يفعل الطاعة انقيادًا ومحبة لها، منشرح بها صدره، أفضل من الذي يفعلها بمشقة وهو يعالج نفسه، ولهذا كان عمل الصحابة رضي الله عنهم أفضل من غيرهم لأنهم قد بلغوا

الكمال في محبة العبادة والطمأنينة فيها بالإضافة إلى شرف الصحبة[١].

فالاستقامة تجعل المسلم يحب العبادة ويتلذذ بها ويألفها فيعان على القيام بها على أكمل حال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ له : ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى برحمته إليه الملائكة تؤزه إليها أزًا وتحرضه عليها وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها، ولا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه إليها أزًا. فالأول قوّى جند الطاعة بالمدد فصاروا من أكبر أعوانه، وهذا قوّى جند المعصية بالمدد فصاروا أعوانًا عليه[٢].

ورحم الله سلفنا الصالح، فقد كان أحدهم يقول واصفًا ما يجد من حلاوة الإيمان ولذة العبادة والأنس بالله : (إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال، إنهم لفي عيش طيب)[٣].

وقد حدثتني إحدى قريباتي وهي من محارمي ومعروفة بكثرة قراءة القرآن والذكر لله تعالى، تقول إنها تجد سعادة ولذة عظيمة في عبادتها ومناجاتها لله تعالى في الصلاة، حتى إنها تقول في سجودها في بعض الأحيان بعد قولها : سبحان ربي الأعلى، تقول:

---

(١) انظر : قواعد ابن رجب ، قاعدة رقم (١٧)

(٢) الداء والدواء ص٩١.

(٣) الداء والدواء ص١٢٣.

أحبك يا ربي، أحبك يا ربي.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يأنس بعبادته ويطمأن بذكره.

الرابعة والثلاثون: الوسطية والاعتدال في الأمور كلها:

الوسطية من أخص خصائص هذه الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن فضائل الاستقامة أنها تعين المسلم على معرفة أحكام دينه ومعرفة ما له وما عليه من الواجبات والمسؤوليات، ولا يبقى عرضة لمداخل الشيطان عليه بالإفراط والتشدد والغلو، أو بالتفريط والتضييع والجفاء، مما وقع فيه كثير من الناس.

إذا استقام المسلم وتفقه في دينه عرف ما له وما عليه فصلحت عقيدته وعباداته ومعاملاته وعلاقاته، لأن الاستقامة هي دين الله تعالى الذي وصفه سبحانه بالوسط ووصف أمته بالعدل.

قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة: ٦].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ...﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان

قبلكم الغلو في الدين»[١].

وقال ﷺ: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**[٢].

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله : (فالاستقامة تعني التوسط بين الإفراط والتفريط، بين التساهل وعدم المبالاة، وبين الغلو والتشديد، هذا هو طريق الاستقامة لأن دين الله بين الغالي والجافي، الغالي هو الذي يزيد ويتشدد، والجافي هو المتساهل الذي لا يهتم بدينه بل هو مفرط، وكذلك الغالي والمتشدد الذي يزيد في العبادة ويزيد في التمسك، يظن أنه بذلك يطيع الله ورسوله، وهو بالعكس؛ لأن من خرج عن الجادة ومال عنها سواء بتساهل أو بتشدد خرج عن شرع الله سبحانه وتعالى.

فالاستقامة هي الاعتدال من غير جفاء وتساهل ومن غير زيادة وتشدد وإفراط في العبادة، هذا هو طريق الاستقامة)[٣].

الخامسة والثلاثون : حسن الخاتمة :

وأخيرًا نختم ما ذكرت من فضائل الاستقامة بهذا الأمر وهو

---

(١) رواه أحمد والنسائي وابن حبان، صحيح الجامع (٢٩٨٠).

(٢)رواه البخاري ومسلم.

(٣) انظر: الاستقامة للشيخ صالح الفوزان ص ٨، ٩.

حسن الخاتمة نسأل الله حسن الخاتمة والعاقبة.

من أعظم فضائل الاستقامة حسن الخاتمة لأن المستقيم على دين الله قد داوم الطاعة لله تبارك وتعالى فهو يتقلب في الطاعات صباح مساء، وقد مرَّن نفسه طيلة الأيام والسنين على الطاعات والعبادات فحسن إسلامه، وكمل إيمانه، وقوي يقينه وتوكله على الله ﷻ، والله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

فالاستقامة تحفظ صاحبها بإذن الله لأنه دائمًا على صلة بالله ﷻ لا يمكن أن تمر عليه فترة غفلة ونسيان، فمهما فاجأه الأجل فإنه لا يخلو من أن يكون على طاعة أو قريب العهد بطاعة فيختم له بعمل صالح يموت عليه أو يكون حديث العهد به، وقد أخبر ﷺ في الحديث الصحيح: أن من ختم له بعمل صالح مات عليه دخل الجنة.

فقال ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة**»[١].

وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله**»، قيل: كيف يستعمله؟؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**»[٢].

(١) رواه الإمام أحمد، صحيح الترغيب والترهيب رقم (٩٨٥).

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان والطبراني، صحيح الجامع (٣٠٥، ٣٠٦).

وقال ﷺ: «**من مات على شيء بعثه الله عليه**»)[١].

كم سمعنا من قصص الوَفَيَات لبعض الصالحين، كان آخر عهدهم من الدنيا قول: لا إله إلا الله.. أو صيام يوم... أو قراءة قرآن... أو سفر في عبادة أو دعوة، بل والله قد مات بعض أهل الاستقامة والصلاح وهو في الصلاة.

وفي المقابل، كم سمعنا من قصص وَفَيَات أهل الغفلة والبعد عن الاستقامة، كان آخر عهدهم بالدنيا : معاصي.. أو مخدرات.. أو مجالسة أهل الفساد والخنا أو غير ذلك من الأعمال التي بلا شك لا يسرهم أن يبعثوا عليها يوم القيامة، نسأل الله أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وقد وعد الله عباده المستقيمين على دينهم، الذين يفعلون ما يؤمرون به، من الفضائل العظيمة والخبرات العميمة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨].

---

(١) رواه مسلم.

فقد وعدهم الله بأربعة أمور عظيمة وهي:

١ - الخيرية في قوله تعالى: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: لكانوا من الأخيار، وانتفى عنهم صفة الأشرار.

٢ ـ حصول التثبيت والثبات في الحياة الدنيا والآخرة في قوله تعالى: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ بسبب استقامتهم على الأعمال الصالحة ومداومتهم عليها.

٣- الأجور العظيمة التي يهبها الله تعالى للمطيعين المنفذين أوامره بالاستقامة على دينهم.

وقد وصف الله هذا الأجر بالعظمة لكثرته وشرف قدره والشيء الذي يصفه أعظم العظماء بالعظمة لا بد أن يكون في غاية العظمة والجلال.

وفي قوله : ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ تخصيص يدل على المبالغة في عظم تلك العطية.

٤ - الهداية إلى الصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾، وهذا عموم بعد خصوص لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن التوفيق والثبات على هذا الصراط المستقيم بسبب ما عملوه من الطاعة وحسن الانقياد.

ثم ختم الله هذا السياق المبارك بهذا الوعد العظيم لأهل الاستقامة بدخول الجنة مع أكرم الخليقة وهم هؤلاء الأصناف الأربعة: النبيُّون، والصدِّيقون، والشهداء، والصالحون، فقال سبحانه:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

وفي قوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ثناء على هذه النعمة العظيمة والصحبة الحقيقية بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار رب العالمين [1]: نسأل الله من فضله.

(١) انظر: تفسير ابن سعدي، تفسير صفوة الآثار، والمفاهيم للدوسري عند هذه الآية.

معوّقات الاستقامة

الأصل في الإنسان الهداية وحب الخير، فقد خلق الله الناس لعبادته وجعل نفوسهم مفطورة على ذلك، وحبب إليهم الإيمان وخصال الخير، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

فالأصل في الإنسان الهداية لا الضلالة، وهي أيسر عليه، وأمره الله تعالى أن يبذل أسباب الاستقامة والهداية ووعده بالإعانة والتوفيق.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ - ٧].

فعلى المسلم أن يبذل أسباب الهداية والاستقامة، وأن يحذر من موانعها التي يخوف بها الشيطان كثيرًا من الناس.

وهناك كثير من المعوّقات التي ربما منعت البعض أو أخَّرته عن الاستقامة على دين الله تبارك وتعالى، وكل واحدة منها تحتاج إلى شرح وتفصيل، وسأذكر بعض هذه المعوّقات باختصار،

فمن أهمها:

أولًا: التسويف:

بعض الناس يقول : الآن أنا عرفت الاستقامة وما ورد فيها وفضائلها وهذا شيء طيب لكن ليس الآن؟! سوف أستقيم من أول الأسبوع !! أو من أول الشهر !! أو من أول السنة !!... سبحان الله ما هذا التأجيل وما هذا التسويف؟ |

إن كنت تضمن أنك ستبقى إلى ما تقول من الوقت فنعم، ولكن من يضمن هذا؟.

فالآن الآن قبل فوات الأوان أيها الحبيب، استقم على دين الله ﷻ واستكمل إيمانك وأقبل على ربك ﷻ، ولا تضيع وقتك، فأنت بحاجة إلى كل دقيقة ولا أقول ساعة ولا يوم، حتى يكون في ميزان حسناتك وألا يضيع عليك سدى.

ثم أيضًا لا تضمن يا أخي إذا أجَّلت الاستقامة ماذا يحدث بعد ذلك، فلعلك لا تستطيع الاستقامة.

فقد يحدث أشياء وتتطور أمور في حياتك أو غير ذلك تمنعك من الاستقامة، فتأجيل الاستقامة في الحقيقة فيه خطورة ومجازفة وخسارة، فهل تستوي حسنات من استقام في أول عمره مع من استقام في آخره؟

كما أن أجر وفضل من استقام في شبابه أعظم وأكبر عند الله، ولذلك عدّه النبى ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله...**»(١) الحديث.

ثانيًا: أصدقاء السوء:

بعض الناس يريد الاستقامة لكن عنده أصدقاء يقولون له: لا تستقم أو هو يخشى منهم !! ويتخيل أنهم سيفعلون أو سيقولون له كذا وكذا؟ أو يتخيل أنه لا يستطيع أن يعيش بدونهم لو تركوه.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

فالخلة التي لا تعين على طاعة الله لا خير فيها، والصاحب والصديق والخليل الذي لا يفرح بالاستقامة على دين الله عَزَّ وَجَلَّ لا خير فيه.

ثم لماذا هذا الخوف من هؤلاء الأصدقاء؟؟ ألا يمكن أن يؤثر هو فيهم فيستقيموا مثله؟؟؟ ألا يمكن أن يُبدله الله خيرًا منهم؟؟؟ بلى والله يمكن.

---

(١) متفق عليه.

ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]

ثالثا: الأهل والأقارب:

كم من رجل يريد أن يستقيم لكن يخشى من زوجته، وكم من امرأة تريد أن تستقيم ولكن تخشى من زوجها.

وكم من إنسان يريد أن يستقيم لكن يخشى من أهله وأقاربه. كل هذه أوهام !! ما يدريكم؟

ألا يمكن أن يؤثر المستقيم في زوجته وأهله وأقاربه؟

ألا يمكن أن تؤثر الزوجة في زوجها؟؟ ألا يمكن أن يؤثر الأب في أبنائه؟

ألا يمكن أن يؤثر الأبناء في آبائهم وأمهاتهم فيستقيموا على دين الله تعالى.

الجواب: بلى، فوالله كم سمعنا من المواقف والقصص المشابهة لذلك.

ثم ينبغي للمسلم أن يصبر ويحتسب فيما يلاقيه من الأذى من قرابته، ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام الأسوة الحسنة.

رابعا: الاستغراق في المباحات:

بعض الناس يستغرق في المباحات!! ويكثر منها حتى لا يستطيع أن يتركها أبدًا.

هل تصدقون أن هناك من يعوقه عن الاستقامة مثلًا كثرة النوم!! أو كثرة ممارسة بعض الألعاب الرياضية أو كثرة الجلوس والمخالطة مع الناس إلى آخره من المباحات، بل ربما وصل به الحال إلى ترك واجبات وتضييع أمانات ومسؤوليات بسبب تلك المباحات.

وقد عدَّ العلماء كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أن من مراتب إغواء الشيطان للإنسان الاستغراق والإفراط في المباحات، بحجة أنها مباحة، فتأخذ وقته كله وتشغله عما هو أنفع له في الدنيا والآخرة.

ثم إن على المسلم العاقل أن يتذكر حقيقة هذه الدنيا وشهواتها وملذاتها الفانية وكم تساوي إذا قورنت بما أعد الله لعباده الصالحين في جنات النعيم.

خامسًا : الخوف من عدم الاستقامة الكاملة :

كذلك من المعوّقات أن بعض الناس يقول: لا أستطيع الاستقامة الكاملة، فإما أن أستقيم بشكل كامل وإلا فلا، هذا غير

صحيح، من منا يستقيم استقامة كاملة، ولا يخطئ أبدًا، ليس فينا معصوم، كلنا خطاء وخير الخطائيين التوابون، فهذا مدخل شيطاني.

استقم على دين الله ﷻ مهما كان عندك من تقصير أو ذنوب أو بعض الأشياء التي قد لا تستطيع تركها مباشرة، وسدد وقارب وتوكل على الله ﷻ، واطلب العون من الله ﷻ، واعلم أن الاستقامة من أعظم الأمور التي تعينك على تلافي ذلك التقصير، أما إن جلست تنتظر ذلك اليوم الذي لا تعصي فيه الله فلن يأتيك أبدًا.

وقد قال ﷺ في الحديث: «**سددوا وقاربوا وأبشروا**»(١).

وقال ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا...**»، أي: لن تبلغوا حق الاستقامة.

سادسًا: الوظيفة:

استقم على دين الله ﷻ وسدد وقارب واتق الله حسب استطاعتك ولا تؤخر الاستقامة ولو أدى ذلك إلى ما قد يكون في الوظائف من فصل أو نقل أو غير ذلك، فمن ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه، كما أخبر النبي ﷺ.

ثم إن هذا من تخويف الشيطان للناس، فما يدريك: لعلك تبقى في وظيفتك أو يعوضك الله خيرًا منها.

---

(١) متفق عليه.

وأعرف شخصًا كان موزعًا لإحدى شركات التدخين يوزع السجائر، هذا الأمر الذي أجمع العالم اليوم على محاربته، وكان يتقاضى راتبًا ونسبة على ما يوزعه يعادل تقريبًا ثلاثة عشر ألف ريال شهريًا، مع سيارة يستعملها طيلة يومه.

فلما اهتدى هذا الرجل واستقام على دين الله، قال لنفسه : لا يصلح أن أستمر على هذا العمل لأن هذا العمل لا يجوز وحرام فترك هذا العمل، فلامه بعض الناس وتكلموا عليه وعارضوه لكنه تركه لله، فماذا حصل معه؟

لقد يسَّر الله له وظيفة في إحدى الجمعيات الخيرية في مشروع الاستقطاع الشهري.

فقال بعدما تيسرت له هذه الوظيفة : أريد أن أمر على جميع تلك الشركات والمحلات التجارية التي كنت أوزع عليهم السجائر وذلك الدخان فأعرض عليهم هذا المشروع الخيري ألا وهو الاستقطاع الشهري، وخلال مدة يسيرة استطاع هذا الرجل أن يسوِّق هذا المشروع ويمر على تلك الدوائر وتلك المحلات والشركات وغيرها حتى وصل دخل المشروع هذا (الاستقطاع الشهري) إلى مليون ونصف المليون ريال سنويًا.

فانظروا كيف أبدله الله ﷻ فأصبح يدعو إلى الخير ويهدي إلى الخير ويدل الناس إلى الخير وأصبح في ميزان حسناته هذا المبلغ العظيم الذي يبذل في وجوه الخير بفضل الله ﷷ، مع أنه كان

يتقاضى راتبًا شهريًا قدره سبعة آلاف ريال من تلك الجمعية الخيرية.

ثم بعد ذلك عُيِّن إمامًا في أحد المساجد، صليت خلفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا من الأيام.

سابعًا: عدم معرفة معنى الاستقامة :

بعض الناس يظن أن الاستقامة هي أن يجلس في البيت ولا يعمل، أو أن الاستقامة تحرمه من أشياء يحتاجها في حياته فهو لا يعرف معنى الاستقامة، الاستقامة لا تحرمه شيئًا مما أباحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وهؤلاء أهل الاستقامة بيننا يعيشون حياة كريمة يملكون البيوت ويركبون السيارات ويأكلون ويشربون ويلبسون وما حرمتهم الاستقامة شيئًا مما يحتاجونه من الحياة، بل ولله الحمد قد فتح الله عَزَّ وَجَلَّ على عباده من هذه الدنيا الكثير والكثير، فالاستقامة ليست تعطيلًا للحياة ولا حرمانًا ولا قيودًا في حياة الناس، وقد مر معنا ما يوضح معنى الاستقامة وفضائلها ومنها الحياة الطيبة والسعادة الحقيقية.

ثامنًا: الخوف من فقد الشهرة والجاه

بعض الناس قد يعوقه عن الاستقامة فقد الشهرة والجاه، فأقول له: يا أخي إن الشهرة والجاه ليست هي فقط في الدنيا، فشهرة

الدنيا وجاه الدنيا فقط لا تنفع وإنما النافع هو ما كان في الدنيا والآخرة، ولذلك ذكر الله ﷻ عن نبيه عيسى أنه ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥].

أما الوجاهة في الدنيا فقط فلا تنفع عند الله ﷻ، فإن لم يكن الإنسان بوجاهته هذه على تقوى وصلاح وخير فإنها لا تنفعه، ومن ترك الله شيئًا عوضه الله خيرًا منه، وقد مرّ معنا في فضائل الاستقامة، أن منها محبة الناس والقبول في الأرض والثناء الحسن والذكر الجميل.

وهذه المكانة هي التي تنفع بإذن الله تعالى في الدنيا والآخرة.

تاسعًا: الخوف من الانتكاسة:

بعض الناس يعوقه عن الاستقامة الخوف من الانتكاسة وهذا سبحان الله تشاؤم وسوء ظن بالله سبحانه، لماذا لا يتفائل الإنسان؟ بعض الناس يقول: أنا فعلًا أريد أن أستقيم لكن أخشى أن أنتكس، نقول : من صدق مع الله صدق الله معه، ولا ينتكس إلا من كان في قلبه مرض أو شك أو رياء أو غير ذلك من الأمراض، وإلا فالله ﷻ لا يخلف الميعاد ولا يضيع أجر من أحسن عملًا.

عاشرة: الخوف من عدم قبول التوبة :

وكذلك من معوّقات الاستقامة الخوف من عدم مغفرة الذنوب. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، فلماذا نقول هذا الكلام؟ فليس هناك ذنب لا يغفره الله ﷻ إلا الشرك لا يغفره الله لمن مات عليه، أما في الحياة فالله ﷻ يغفر الذنوب جميعًا.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فنادى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده المسرفين على أنفسهم ناداهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبودية له، لم يقل: (قل: يا أيها الذين أجرموا) أو (قل: يا أيها الذين فسقوا)؟ لا ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ﴾ مهما فعلتم فأنتم عباد الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو ربكم يغفر الذنوب جميعًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ إلى قوله : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

فهذه أمهات الذنوب والكبائر ألا وهي الشرك والقتل والزنى. ومع ذلك يقبل الله توبة أصحابها، بل يبدل الله تلك

السيئات العظيمة إلى حسنات، وفي هذا حث لأصحاب تلك الكبائر على التوبة ووعد كريم من الرحمن الرحيم بقبول توبتهم الصادقة الخالصة لوجهه، ومن أصدق من الله قيلًا.

الخاتمة

أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات على ما منَّ به من إتمام هذا الكتاب، سائلًا الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه نافعًا لكاتبه وقارئه إنه جواد كريم.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من أسهم وأعان على إخراج هذا الكتاب جزاهم الله عني خير الجزاء

وختامًا، فإن هذه الفضائل التي هي بعض فضائل الاستقامة، التي هي دين الإسلام وهدي محمد ﷺ، لا يمكن حصرها لأنها في الحقيقة هي فضائل الإسلام، وإنما ذكرت أهم هذه الفضائل وما له أثر مباشر في حياة المسلم، واكتفيت بالإشارة إليها دون تفصيل خشية الإطالة.

أسأل الله بمنِّه وكرمه أن يرزقنا الاستقامة على دينه ظاهرًا وباطنًا، وأن يعيذنا من طريق الندامة وأن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

الفهرس